طبعة منقحة



الأسوة الحسنة

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

عثمان نوري طوباش

دار الأرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

إسطنبول ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م

-طبعة منقحة-

إسطنبول ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م
دار الأرقم
اسم الكتاب باللغة التركية: Emsalsiz Örnek Şahsiyet
ترجمة: محمد عز الدين سيف
تصميم وتنضيد: حسام يوسف
الطباعة : مطبعة الأرقم
ISBN: 978-9944-83-155-0
Language : Arabic

العنوان:



▸ Address: Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / Türkiye
Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.org
Web site : www.islamicpublishing.org

الأسوة الحسنة



عثمان نوري طوباش



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عرّفنا الحق ﷻ برسوله ﷺ فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء، ١٠٧)



﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾

(الأحزاب، ٤٥-٤٦)



﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(الأحزاب، ٢١)



﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(القلم، ٣-٤)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾

(محمد، ٣٣)



﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾

(النساء، ٦٩)



﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(الأحزاب، ٥٦)

صدق اللّٰهُ العظيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا كثيرًا على أنه شرَّفنا بأن نكون من أمة محمد ﷺ نبيِّه وحبيبه وخاتم رسله، والصلاة والسلام دائمًا أبدًا على نبينا الكريم نور الحقيقة والهداية الذي ما فتئ ينير درب الناس إلى الفلاح بسُنَّته وهديه.

أما بعد، فقد أرسل ربُّنا سبحانه وتعالى نبيَّنا الكريم نبيًّا في أعسر الأوقات، إذ كان الناس في ظلم شديد، فكان عليه الصلاة والسلام نورًا للبشر، وجعله ربنا تعالى كنجم الثريا يبرز من الأعالي على الدنيا التي كانت في ظلام مجتمع جاهلي فاقَ الناس فيه الحيوانات في وحشيتهم وغفلتهم وضلالهم.

أرسله الله تعالى رحمةً للمخلوقات كلها، للحجر والشجر، والنهر والبحر، والأرض والسماء، والزمان والمكان، وخصَّ برحمته هذه الإنسان، وجعله وسيلة للبركة والهداية والرحمة والرأفة والنجاة.



- فهو عليه الصلاة والسلام رحمة يرتقي كلُّ مخلوق درجة عند خالقه بمقدار حبه له عليه الصلاة والسلام.
- وهو رحمة عمَّت رأفته ورحمته الناس جميعًا، بل حتى المخلوقات كلها.
- وهو رحمة لأنه منبع الماء الذي يحيي العقول والقلوب، ومصدر الفيوضات والبركات الكثيرة بأوصافه الحميدة.
- وهو رحمة أكرمنا الله به بالقرآن مرشدنا إلى الهداية.
- وهو رحمة لأنه رسول الله الرحمن الرحيم وحبيبه ونبيُّه الذي أكرمه بالإسراء والمعراج.
- وهو رحمة لو لم يكن لباتَ العالَم صحراء جرداء قاحلة.
- وهو رحمة يخبرنا ربنا تعالى بالصلاة عليه بعظمة قدره وعلوِّ شأنه.

لقد ذاق العالَم كله لذة الطمأنينة الحقيقية في ظل نبوة نبي الرحمة ﷺ، وشرعَ الناس الذين كانوا يختنقون بدخان العصيان في متاهات الجاهلية بالتنفس حين بسطوا أجنحتهم محلِّقين في سعة السماء من أبواب العلم والمعرفة والحقائق التي فتحها نبي الرحمة ﷺ، وصارت الضمائر القاسية قسوة الحجارة كالعجين بين يدَيه المباركتَين عليه الصلاة والسلام، واغتسلت القلوب



الصدِئة الداكنة في منبعه عليه الصلاة والسلام حتى صارت طاهرة نيِّرة مليئة بالحب.

فوحشي الحبشي مثلًا كان رجلًا متوحِّشًا لا رحمة في قلبه قبل أن يهتدي، لكنه بعد ذلك أي حينما تربى على التربية المحمدية صار صحابيًّا رقيق القلب كثير الدمع. وقد كانت قلوب كثير مثله ميتة في قبضة المثالب قبل الهداية، غير أنها أُحيِيَت حياة خالدةً بشربها من معين الهداية، فصار أصحابها إلى درجة سامية واستحقوا لقب «سيدنا» إذا ذُكِرُوا.

وكلٌّ هذا يبيِّن لنا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام إبداع عظيم من ربنا سبحانه وتعالى، وهو عليه الصلاة والسلام كذلك ظاهرًا وباطنًا، هو الأكمل والأكرم والحبيب. وما أقطاب الحقيقة في تاريخ البشر من الصلحاء والأصفياء والأولياء والحكماء إلا انعكاس من بركاته، وغيض من فيض رحمته، وقبس من شمس نوره؛ فهو رحمةٌ للعالَمين ولطفٌ وكرمٌ من الخالِق ذي الجلال.

من أجل ذلك كله كان السبيل إلى نيل رضا الله تعالى يمر من محبته واتباعه وطاعته، وقد بيَّن ربنا سبحانه وتعالى هذه الحقيقة في قوله:



﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

فالمقياس الوحيد لحب الله كما ورد في الآية اتباعُ نبيه الكريم، وإلا لا يُعَدُّ الإيمان إيمانًا سليمًا. ولا يستطيع عبدٌ أن يُحبِّبَ نفسه لله تعالى بغير هذا السبيل. والعبدُ الذي لا يحبِّب نفسه لله تعالى تبيت جميع أعماله هباءً منثورًا.

لذلك ينبغي أن يكون رسول الله ﷺ في قلوبنا وفي مركز حياتنا دائمًا، وينبغي أن تكون طبائعنا كطبعه عليه الصلاة والسلام.

ولا ريب أن أكثر ما نحتاج إليه من أجل ذلك أن نعرفه عن قرب... وأن نعلم سيرته حتى أدق التفاصيل فيها... وأن نشعر به مع كل نبضة من نبضات قلوبنا... تمامًا كما كان الصحابة الكرام والأولياء العظام.

فإنْ لم نبلغ هذه الدرجة العظيمة لِعجزنا وتقصيرنا، فحسبنا أن نسير على هذا الطريق ونسعى للوصول إلى هذه الدرجة، فالتحلي ولو بخصلة من خصاله الحميدة بابٌ للفلاح في الآخرة.

١ آل عمران، ٣١.



من أجل ذلك كله سعينا بعجزنا وتقصيرنا لوضع هذا الكتاب بين أيديكم بغية التعرف عن قرب إليه عليه الصلاة والسلام. ولربما لا تليق كلماتنا بوصفه عليه الصلاة والسلام، غير أننا جميعًا مُضطرون لشكر النعمة العظيمة التي أكرمنا بها ربنا تعالى بوصفه عليه الصلاة والسلام والاستنان بسُنَّته. ومن أعظم واجباتنا أن نوصِل- على قدر طاقتنا- رحمتَه التي شملَت العالَمين إلى آخر الزمان الذي فسد فيه كل شيء. وينبغي لنا وفاءً له عليه الصلاة والسلام أن نعرِّف الناس جميعًا به ما دامت ألستنا تتحرك. وليس أعظم شرفًا لنا من أن نمثِّله على أفضل صورة بأحوالنا وأفعالنا.

فاللهم اجعلنا نقتدي بنبينا وسيرته العظيمة، واجعل قلوبنا مليئة بمحبته وعشقه، ووفِّقنا في امتحان اتباعه وطاعته حتى ننال محبتك ورضاك يا ذا الجلال والإكرام.

آمين!.[٢]

٢ أدعو الله تعالى أن تكون جهود طلابنا الأعزاء في إعداد هذا الكتاب صدقةً جاريةً في ميزان حسناتهم.

الفصل الأول

الأسوة الحسنة

سيدنا محمد ﷺ

الأسوة الحسنة

سيدنا محمد ﷺ

لو لم يُولَد رسول الله ﷺ ويُشرِّف هذا العالَم، لبقيَ الناس جميعًا في ظلم وجور، ولأكل القوي الضعيف حتى قيام الساعة، ولَطغى الباطل على الحق، ولَحكَم الظالمون والأقوياء الأرضَ.

وقد عبَّر مولانا جلال الدين الرومي عن مدى ضرورة شكرنا للنبي ﷺ الذي كسر الأصنام وأزال الظلم بعد سنوات طويلة قضاها في مكابدة المحن، فقال:

«يا مَن أسلمتَ اليوم، لو لم يكن سعي نبينا أحمد ﷺ وهِمَّته في تكسير الأصنام، لكنتَ أنت مثل أجدادك تعبدها».

فهذا النبيُّ الأُميُّ الذي ظهر في مجتمع جاهلي بعيد عن الحضارة أعجزَ الناس بما جاء من علم وحكمة، وأتى بمعجزة عظيمة لم يصل إليها أحد ولن يصل إليها حتى قيام الساعة. والدليل على ذلك أن القرآن الكريم يذكر مسائل علمية كثيرة ظهرَت في الماضي وستظهر في المستقبل، ولم يكذِّبه



أي اكتشاف علمي منذ نحو من ١٤٠٠ سنة. أما الموسوعات الأكثر شهرة اليوم يُضطَر واضعوها لإضافة مجلد جديد كل عام وتصحيح ما فيها من معلومات وتحديثها.

ذلك النبي الأُميُّ اليتيم لم يدرس على يد أحد، لكنه جاء منقذًا للبشر كلهم، وكان ترجمان عالَم الغيب، وأستاذ مدرسة الكون.

لقد جاء سيدنا موسى عليه وسلم بأحكام، وتميَّز سيدنا داوود عليه السلام بدعاء الله ومناجاته، وبُعِثَ سيدنا عيسى عليه السلام معلِّمًا الناسَ الزهدَ ومكارم الأخلاق، وأما نبيُّ الإسلام سيدنا محمد ﷺ فقد جاء بكل ما جاء به الأنبياء قبله: فقد وضع الأحكام، وعلَّم الناس كيف يزكُّون أنفسهم ويدعون الله بقلب سليم، وجاء بأحسن الأخلاق وصار قدوة بالعمل بها، وأوصى بعدم الاغترار بملذات الدنيا وزخرفها، أي إنه جمعَ ما جاء به جميع الأنبياء، وفيه اجتمعت أصالة النسب والأدب، وسعادة الجمال والكمال.

عاش رسول الله ﷺ أربعين سنة في مجتمع جاهلي، وكانت الفضائل التي وضعها لاحقًا مجهولة بين الناس، وما عُرِف قط بأنه حاكم أو واعظ أو خطيب، وما اشتُهِر بأنه قائد عظيم للجيوش ولا حتى جندي.



ولكن لا ريب أن عامَه الأربعين كان أعظم نقطة تحول للناس أجمعين.

ولم يُسمَع عنه قبل بلوغه هذه السِّن حديثًا عن الأمم السابقة والأنبياء السابقين، أو يوم القيامة، أو الجنة والنار. كان عليه الصلاة والسلام يعيش حياة سامية خاصة في أخلاق عالية، غير أنه عندما رجع من غار حراء برسالة من الله تعالى، تغيَّرت أحواله كلها.

ولمَّا شرعَ يبلِّغ رسالة ربه، صارت الجزيرة العربية في خوف ودهشة، فقد أثَّر في الناس ببلاغته وخطابته تأثيرًا عظيمًا، ولم تبقَ قيمة للشعر والأدب والبلاغة والفصاحة بعد ما جاء به، وكانت القصائد الجاهلية معلَّقة على الكعبة فأنزلتها العرب لفصاحة القرآن إلا معلقة امرئ القيس فإن أخته أبت ذلك عنادًا، فلما نزلت آية:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٣] قامت إلى الكعبة فأنزلت معلقة أخيها.

٣ هود، ٤٤.



فعلَّمَ رسول الله ﷺ الناس جميعًا حقيقة أنه رسول من الله على هذه الأرض تطبيقًا وعملًا، فقد وضع أكمل القواعد في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وإدارة المجتمع والعلاقات الدولية وغيرها، وهذه القواعد التي لا يستطيع أعظم العلماء أن يدركوا حكمتها الحقيقية إلا بعد أبحاث طويلة الأمد وتجارب كثيرة على الإنسان والأشياء. ولا ريب أن البشر كلما تطور علمهم النظري والتطبيقي، أحسنوا إدراك الحقيقة المحمدية.

وهذا النبي الكريم الذي لم يمسك سيفًا قبل نبوته ولا أتقن فنون الحرب وإنما شارك مشاهدًا في حرب واحدة لا غيرها كان جنديًّا شجاعًا وقائدًا ماهرًا لم يتردد في أشد الحروب في إعلاء كلمة الله وإرساء الصلح في المجتمع، على أن رحمته عظيمة أحاطت بالناس جميعًا.

لقد طاف على بيوت الناس يبلِّغهم دين الله، غير أن التعساء أغلقوا أبوابهم في وجه شمس الهداية فباتوا في ظلمات الجهل والكفر إلى الأبد، حتى إن بعضهم لشدة قسوة قلوبهم آذوه وأساؤوا إليه، فلم يكن حزنه لسوء أفعالهم بل لغفلتهم وجهلهم، وكان يقول:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[٤]

---

٤ ص، ٨٦.



استطاع رسول الله ﷺ أن يفتح الجزيرة العربية كلها في تسع سنوات بجيش لا يكاد يبلغ ثلث جيش العدو في كثير من الغزوات، وبقتلى من الطرفَين نكاد أن نقول إنها لا شيء... لقد كان له عليه الصلاة والسلام نجاحٌ إعجازيٌّ في فتوحاته بإرشاده وقوته الروحانية التي زرعها في أناس ما كانوا يعرفون النظام والانضباط في جاهليتهم، حتى إن أصحابه الذين أكملوا الفتوحات من بعده غلبوا أعظم إمبراطوريتَين آنذاك وهما الروم والفرس.

وبذلك أحدثَ رسول الله ﷺ انقلابًا عظيمًا في تاريخ البشر- على الرغم من سوء الظروف- فشرحَ بذلك صدور المظلومين، وقهرَ الظالمين، وحمى الأيتام والمساكين، وأزال الهم والغم عن قلوب الناس أجمعين.

وقد عبَّر الشاعر محمد عاكف أرصوي عن هذه الحقيقة بشعره إذ قال:

كَبُرَ اليتيم وبلغَ من عمره الأربعين
فوَطَأت طريقَ الحق أقدامُ المظلومين
أنقذ البشرَ بنفحةٍ هذا المعصوم الأمين
ودكَّ عرش كسرى وقيصر فجعله أسفل سافلين

ونهض العاجز الذي ظُلِمَ سنين

واجتُثَّ الظلم من العقول بعد أن كان في قرار مكين

شرعُه المبين كان رحمة للعالمين

وبجناحَيه أظلَّ من ابتغى العدلَ من المساكين

وكلُّ ما في الدنيا هِبةٌ لأجل خاتم المرسلين

مديون له المجتمع والفرد كل حين

مديون لهذا المعصوم كلَّ من تراه من الناس أجمعين

فاحشرنا يا رب بهذا الإقرار يوم العرض المبين

إن سيرة نبينا الكريم محمد ﷺ سيرة عظيمة، فهو أسوة حسنة سمَا بفكر الإنسان في عصره ولبى ما قد يحتاجه الناس حتى قيام الساعة، لذلك كان نبيَّ آخر الزمان.

وقد بيَّن رسول الله ﷺ أخلاقه السامية في قوله:

«**بعثت لأتمم حسن الأخلاق**»[٥]

٥ الموطأ، حسن الخلق، ٨.



الأسوة الحسنة

إن الإنسان الوحيد والنبي الوحيد الذي عُرِفت حياته حتى أدق تفاصيلها على مدى التاريخ هو سيدنا محمد ﷺ. وقد بلغَنَا جزء من حياة الأنبياء التي توجِّه الناس إلى الحق والخير، أما أقوال رسول الله محمد ﷺ وأفعاله فقد بلغتْنَا جميعًا لتُسجَّل لوحة شرف في التاريخ، وهي ستبقى- بلطف من الله تعالى- تنتقل من جيل إلى آخر حتى قيام الساعة.

وإننا أمام مصائب الحياة والابتلاءات والمفاجآت فيها مُجبَرون على التحلي بالصفات السامية مثل الشكر والتوكل والرضا بالقدر والصبر على البلاء والعزيمة والشجاعة والتضحية والقناعة وغنى القلب والإيثار والكرم والتواضع وغيرها، حتى ننجو بأنفسنا من الفِتَن. وأعظم مرشد أكرمَ اللهُ به البشرَ جميعًا ليكون أسوة في هذه الصفات إنما هو نبينا محمد ﷺ بسيرته العظيمة.

إن حياة رسول الله ﷺ أسوة للأجيال جميعًا حتى قيام الساعة، وقد قال الله تعالى في ذلك:

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٦]

---

٦ القلم، ٣-٤.



وسيرته عليه الصلاة والسلام بمظاهرها التي يدركها العقل وحده هي ذروة السلوك البشري الحسن. فقد كان عليه الصلاة والسلام قدوةً تُحتذَى بتطبيقه مهمة الإرشاد، وقد وصفه المولى سبحانه وتعالى بأنه «الأسوة الحسنة» في قوله:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [7]

عرضَ رسول الله ﷺ الأجمل والأكمل في كل جانب من جوانب الحياة في كل مرحلة من مراحل حياته. فقد كان فيه جمال السلوك وكمال الفعل، لذلك يجد الإنسان في حياة النبي الشريفة وسنَّته المطهَّرة أجمل سلوك يقتدي به.

فهو عليه الصلاة والسلام أسوةٌ بزعامته الدينية، وأسوةٌ بقيادته دولته، وأسوةٌ لمن يعتصم بحبل محبة الله جلَّ جلاله، وأسوةٌ بتواضعه وشكره في أوقات تنعُّمه بنعم ربه.

وأسوةٌ بصبره وتسليمه في الأيام الشِداد والمصائب الجِسَام، وأسوةٌ بكرمه واستغنائه وعزة نفسه أمام الغنائم والهبات، وأسوةٌ برأفته بأسرته، وأسوةٌ برحمته بالعبيد والضعفاء والمساكين، وأسوةٌ بعفوه وصفحه عن المخطئين:

7 الأحزاب، ٢١.



فإن كنت غنيًّا ذا مُلك ومال، فتفكَّرْ في كرم ذلك النبي العظيم الذي حكَم الجزيرة كلها، وأخضع زعماء قبائل العرب أغلبهم له بمحبته!

وإن كنت من الرعية الضعفاء، فتأسَّ بحياة النبي الذي عاش في مكة تحت ظلم المشركين واضطهادهم!

وإن كنت فاتحًا مظفَّرًا، فاعتبِرْ بحياة النبي الجَّسور الراضي الذي غلب أعداءه في بدر وحنين!

وإن كنت ممن حاقَت بهم الهزيمةُ- نسأل الله تعالى السلامة- فتذكِّر النبي المتوكل الذي طاف على أصحابه الجرحى والشهداء يوم أُحُد بشجاعة وثباتٍ ومتانة!

وإن كنت معلِّمًا، فاذكر النبي الذي كان يعلِّم أصحاب الصُّفَّة في المسجد أمور دينهم بقلب رقيق حساس رهيف!

وإن كنت طالبًا، فتخيَّل النبي الذي كان يجلس أمام جبريل الأمين الذي يوحي إليه!

وإن كنت مرشدًا أمينًا وواعظًا حقًّا، فاستمع بأذن صاغية واعية إلى النبي الذي كان يعلِّم أصحابه الحكمة في مسجده!

وإن كنت تريد أن تدافع عن الحق وتبلِّغه وتنطق به، ولم يكن أحد يعينك في هذا الشأن، فانظر في حياة النبي الذي نطقَ بالحق



أمام مشركي مكة والظالمين فيها ودعاهم إلى الإيمان ولم يكن له فيها مُعين.

وإن هزمت عدوَّك وقصمت ظهره، وقضيتَ على عناد خصمك وانتصرت عليه، وأظهرت الحق وأزهقت الباطل، فلا يغيبنَّ عن ذهنك النبيُ القائد الذي طأطأ رأسه وهو على ناقته تواضعًا وشكرًا لله سبحانه وتعالى يوم فتح مكة!

وإن كانت لك بساتين وتريد أن يعمَّ الخير فيها، فاقتد بالنبي الذي اختارَ رجالًا يُصلحُون أراضي بني نضير وخيبر وفدك بعد أن ملكها.

وإن لم يكن أحدٌ بجنبك، فاذكرْ ذلك اليتيم البريء النيِّر الوجه فلذة كبد عبد الله وآمنة وقرة أعينهما!

وإن كنت شابًّا، فعليك بحياة الشاب المختار للنبوة الذي كان يرعى أنعام عمه أبي طالب في مكة!

وإن كنت تاجرًا تخرج بقوافلك التجارية، فتأمَّلْ- يرعاك الله- أحوالَ ذلك الرجل المبارك الذي كان أعظم الرجال في القافلة التجارية المتجهة إلى بصرى الشام!

وإن كنت قاضيًا وحاكمًا، فأمعِن النظرَ في السلوك العادل النابع من فراسة النبي أثناء وضع الحجر الأسود في الكعبة بعد أن كاد زعماء مكة يقتتلون فيما بينهم!



وارجع بنظرك إلى التاريخ كرَّةً أخرى، وانظر إلى ذلك النبي الذي حكَمَ بين الناس في مسجده في المدينة فَعدَلَ حين تساوى في نظره الفقير المعسور والغني الميسور!

وإن كنت زوجًا، فدقِّق النظرَ في سيرة ذلك الزوج المبارك زوج السيدة خديجة والسيدة عائشة، وفي مشاعره المرهفة، ورأفته بأهله!

وإنت كنت أبًا، فعليكَ بأحوال والد فاطمة الزهراء وجدِّ الحَسَنَين ومعاملته إياهم!

ومهما كانت صفتك، ومهما كانت أحوالك، فستجد سيدنا محمدًا ﷺ صباحَ مساءَ وفي كل وقت وحين أعظمَ مرشد لك وخير دليل...

فهو هادٍ تستطيع بالاستِنان بسنته أن تصوِّبَ أخطاءك، وتصلح أحوالك، وتصحِّح طريقك، وستتغلب على عوائق حياتك، وتجد السعادة الحقيقية بنوره وإرشاده.

ولَعَمري إن سيرته العطرة كباقة من الورود النادرة المختلف ألوانها وروائحها، فكل إنسان يجد في سيرته عليه الصلاة والسلام أجمل سلوك وأفضل معاملة فيتخذها أسوة حسنةً له.

وسيرتُه عليه الصلاة والسلام أفضلُ قدوة حتى لمَن هم في طبقات متناقضة في المجتمع، فحياة المحكوم ليست قدوة



للحاكم، وحياة الحاكم ليست قدوة للمحكوم. وكذلك حياة الفقير الذي يكابد الحياة طوال عمره كي يجد لقمة عيشه ليست قدوة للغني الذي يعيش في رفاه. أما حياة النبي عليه الصلاة والسلام فقدوةٌ للطرفَين، إذ جعله الله تعالى يحيا «طفولة يتيمة»، وتلكم أدنى مستويات العجز في المجتمع البشري، ثم رقَّاه في مراحل الحياة درجةً درجةً إلى أن رفعه إلى أعلى درجة من القدرة والسلطة حينما جعله نبيًّا لأمته وقائدًا لدولته، وكل ذلك كي لا يكون على المرء حرجٌ في الاقتداء بكمال سلوكه وحسن معاملاته، فيميل إلى ذلك على قدر طاقاته وقدرته.

أما الذين يدَّعون إرشادَ الناس من غير الأنبياء والصالحين، ويدَّعون أنهم قدوة، لا سيما الفلاسفة الذين يعتمدون في كل أمرهم على عقولهم، فهم دائمًا في عجز ونقص. فالأنبياء عليهم السلام كانوا هُداةً للناس يصدِّق بعضهم بعضًا لإن منبعهم جميعًا كان الوحي الإلهي، أما الفلاسفة فقد أضاعوا أعمارهم وهم يدحضون بعضهم بعضًا، ويفنِّد كل واحد منهم ما جاء به سلفه، لإنهم كانوا محرومين من المدد الربَّاني، مفكِّرين بعقول ناقصة قاصرة تخضع لسلطة نفوسهم التي لم تتلقَّ يومًا تربية معنوية، لذلك لم ينفعوا أنفسهم ولا مَن تبعوهم.



ومثال ذلك أننا لن نجد أحدًا في هذه الحياة قد آمن بفلسفة أرسطو وطبَّقها ثم وصل إلى السعادة- مع أنه أولُّ من وضع قواعد فلسفة الأخلاق- وذلك لبعدِ تلك الفلسفة عن الوحي الإلهي.

إن الوسيلة الوحيدة لنجاة الإنسان من المصائب التي تجر إليها الأذهان البعيدة عن تربية الوحي الإلهي وأهواء النفوس ما هي إلا «الحبل المتين» أي القرآن الكريم الذين نزل على نبي آخر الزمان. والأمثلة الحيَّة للحقائق في القرآن نجدها في سيرة النبي ﷺ. فأكثر ما يحتاج إليه الإنسان المُجبَر على إنجاز الغاية من خلقه الاستقامةُ بالقرآن والسُنَّة، لأنهما السبيل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وإرث عظيم تركه لنا نبينا الكريم ﷺ.

وقد أحبَّه عليه الصلاة والسلام الناسُ قبل أن يبدأ بتبليغ الرسالة، ولم تترك صفاته ومحاسنه بُدًّا للناس من وصفه بـ»الصادق الأمين». وقد شرَعَ يبلِّغ الدين بعد أن ثبتت في أذهان الناس طباعه وصفاته تلك، فكانت حجَّةً على من أبَى تصديقه.

لقد عرف أهل مكة سجاياه الفاضلة وحسنه وطيبه قبل أن يُكلَّف بالنبوة فأحبُّوه. وحينما اختصموا على وضع الحجر الأسود إذ أعادوا بناء الكعبة، خضعوا دون اعتراض لحُكمِه.



فقد كان رسول الله ﷺ في أعلى درجات الصدق حتى إن أبا سفيان الذي كان من أشد أعدائه آنذاك حين سأله إمبراطور بيزنطة هرقل:

«فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟» لم يجد بدًا من قول: «لا».[8]

لقد نال رسول الله ﷺ ثقةَ العرب في الجاهلية، حتى إن ألدَّ أعدائه أبا جهل قال له:

«يا محمد إنا لا نكذِّبك، وإنك عندنا الصادق، ولكن نكذِّب ما جئت به»، فأنزل الله تعالى:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [9, 10]

وأما الاستفادة من أخلاق النبي العظيمة وأحواله السامية فلا تكون إلا بالوصول إلى حال التسليم التي بلغها سيدنا أبو بكر الصديق حين سُئل عن حادثة الإسراء، فقال:

«إنْ كان قال ذلك، فقد صدق».

---

٨ البخاري، بدء الوحي، ٧؛ مسلم، الجهاد، ٧٤/ ١٧٧٣.

٩ الأنعام، ٣٣.

١٠ الترمذي، التفسير، ٦/ ٣٠٦٤.



إن ما استعرضناه من مظاهر العدل والرحمة والرأفة في حياة رسول الله ﷺ وغيرها إنما هي قدوةٌ حسنةٌ للبشر أجمعين حتى تقوم الساعة. ولن تستطيع أي بصيرة منصفة رأت النور البرَّاق الذي يشِعُّه ذلك المصباح المبارك إلى العالَم أن تنكر حقيقته البتة. فكم من عالِم فذٍّ لم يؤمن بسيدنا محمد ﷺ ولكن أجبره عقله السليم على الإقرار بفضيلته ونجاحه وبراعته؛ ومن هؤلاء توماس كارليل الذي قال فيه: «ولادته كانبثاق النور من الظلام».

ومما ذُكِر في موسوعة بريتانيكا تصديقًا لفضيلة نبينا:

«لن ينجح نبيٌّ أو عالِم دين مصلح كما نجح محمد».

ويقول بوسورث سميث:

«إن محمدًا أعظم مصلح قطعًا وإجماعًا».

ويعترف ستانلي لين بول بالحقيقة التالية: «إن اليوم الذي هزمَ فيه محمد أعداءه هزيمةً ساحقةً هو نفسه اليوم الذي فاز فيه بأعظم فضيلة؛ فقد عفا في ذلك اليومِ عن أهل مكة عفوًا مطلقًا».

ويقول آرثر غيلمان:

«إننا نرى سموه وفضله في فتح مكة، إذ كان من الممكن أن يُساقَ إلى الانتقام من قومه بتأثير الظلم الذي رآه في الماضي، لكنه جنَّب جيشه إهراق الدماء، ورأف بالناس وشكر الله».



وها هوَ الفيلسوف الفرنسي لافاييت الذي كان ممن وضعوا الأسس الفكرية للثورة الفرنسية- وذلك قبل الإعلان المشهور عن «حقوق الإنسان»- يدقِّق في أنظمة الحقوق كلها ويقلِّب فيها فيرى عظمة الحقوق الإسلامية ليصيح قائلًا:

«أيها العربي الأصيل! مهما قَدَّروا شأنك لن يعطوك حقَّك! لقد وجدت العدل نفسَه!..».

فالفضيلة الحقيقية هي التي تُجبِر العدو أيضًا على الاعتراف بها وتصديقها، وفضيلة سيدنا محمد ﷺ أقرَّ بها حتى من لم يؤمنوا به.

لأن الأخلاق الفاضلة الكاملة التي تحيط بكل جوانب الحياة قد اجتمعت كلها في سيرة النبي الكريم محمد ﷺ. والسيرة الأسوة التي ترشد الناس في صفحات حياتهم كلها- على اختلاف أحوالهم- إنما هي سيرته عليه الصلاة والسلام وحدها؛ فهو الركيزة الأساسية في تعليم الناس على هذه الأرض، وهو المرشد الوحيد للبشر كلهم. وهو من ينير درب المُستنيرين بهديه الذي يستنير به كل من يبحث عن الصراط المستقيم.

وأما حلقة إرشاده فقد كانت مدرسةً تجمع كل طوائف الناس، إذ كانوا يجتمعون عنده على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبقاتهم. ولم يُذكَر أن مُنع أحد من حضور تلك الحلقة. ولم



تكن حلقَته عليه الصلاة والسلام لقوم دون غيرهم، بل كانت مائدة علم وعرفان تستضيف الإنسان لإنسانيته فقط، ولم يكن فيها فرق بين القوي والضعيف أو الغني والفقير، بل كان كلهم سواء هناك.

وانظروا إلى أتباع سيدنا محمد ﷺ، تجدون بينهم النجاشي ملك الحبشة، وفروة بن عمرو الجذامي زعيم معان، وذو الكلاع فيروز الديلمي زعيم حمير، ومركبود من زعماء اليمن، وعبيد وجعفر من ولاة عُمان.

وإن نظرنا مرة أخرى نجد إلى جانب هؤلاء الزعماء الأقوياء، الضعفاء والعبيد أمثال بلال، وياسر، وصهيب، والخباب، وعمار، وأبو فكيهة؛ والإماء مثل سمية، ولبانة، وزنيرة، والنهدية.

وكان من بين أصحابه العظماء صحابةٌ يتصفون برجاحة العقل، وقوة الفكر، وصواب الرأي، واقفين على أدق الأمور، ومطَّلعين على أسرار الدنيا، وقادرين على إدراة البلاد والعباد بالعدل والحكمة.

لقد حكم أتباع سيدنا محمد ﷺ المدن والولايات، فعاشوا مع المحكومين في إطار الأخوة، ووصل الناس بفضلهم إلى السعادة ونَعِموا بالعدل، ونشروا بين الناس السلام والأمن.



الفصل الثاني

أخلاق رسول الله ﷺ الحسنة

أخلاق رسول الله ﷺ الحسنة

من المحال أن نجد إنسانًا آخر غير النبي ﷺ كان مصبَّ اهتمام البشر وعُرِفَت أوصافه حتى أدق تفاصيلها. ولو أننا سعينا للتعريف بالجوانب التي تحيط به عليه الصلاة والسلام، لما كفَت المجلدات لذلك.

وقد جعلت العلوم الإسلامية سيرة النبي ﷺ بجوانبها المختلفة دليلًا لها في الأصول والاجتهاد، لذلك نجد أن كل علم من العلوم الإسلامية انشغلت بجانب من جوانب سيرته عليه الصلاة والسلام.

فجميع المؤلفات التي وُضِعَت منذ نحو من ١٤٠٠ سنة كانت لإيضاح كتاب وإنسان، الكتاب هو القرآن الكريم، والإنسان هو نبينا الكريم محمد ﷺ.

يرتد البصر البشري خاسئًا وهو حسير إذا ما نظر إلى نور الشمس، فما بالنا بالعقل البشري الذي يحاول استيعاب الحقيقة النبوية، وما بالنا بالبصيرة البشرية التي تحاول استبصار حقيقة النور المحمدي. إن أدوات الإدراك التي يمتلكها البشر لا تملك القدرة على استيعاب هذه الكينونة النبوية المباركة على حقيقتها الكاملة.



وفيما يلي سنسعى لعرض شيء بسيط من طبع النبي ﷺ وفضائله ومحاسنه على قدر إدراكنا وطاقتنا:

➢ **شمائل رسول الله ﷺ الشريفة وأخلاقه الحسنة**

كان عليه الصلاة والسلام حسن الصورة كامل السيرة، ليس مثله أحدٌ خَلقًا وخُلُقًا. عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس وفيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما، ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما.[١١]

وقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه في آخر حياته:

«وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه».[١٢]

وكان وجه رسول الله ﷺ أجمل الوجوه، فعن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.[١٣]

---

١١ الترمذي، المناقب، ١٦/ ٣٦٦٨.

١٢ مسلم، الإيمان، ١٩٢/ ١٢١.

١٣ الترمذي، القيامة، ٤٢/ ٢٤٨٥؛ أحمد، جـ٥، ص٤٥١.



فقد كان رسول الله ﷺ جميلًا بهيَّ الطلعة، حتى إنه لم يكن ثمة حاجة إلى معجزة أو دليل أو برهان لإثبات أنه نبي مُرسَل من الله تعالى.

وكان رسول الله ﷺ إذا غضِبَ أعرضَ وأشاحَ، وإذا فرِحَ غضَّ طرفَه.

وقد التقى في جسده الطاهر النشاطُ والحياء والعزيمة المدهشة، ولقد كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها.

إن الكلمات لَتعجزُ عن التعبير عن رقَّة قلبه.

وكان في وجهه جمال نوراني، وفي كلامه سلاسة، وفي حركاته لطافة، وفي لسانه طلاقة، وفي كلماته فصاحة، وفي بيانه بلاغة.

كلُّ كلامه حكمة ونصيحة، ليس في حديثه غيبة أو نميمة، يخاطب كل رجل على قدر عقله وإدراكه.

كان عليه الصلاة والسلام دائم البِشْرِ، سهل الخُلُق، ليِّن الجانب، جُلُّ ضحكه التبسُّم.

وكان عليه الصلاة والسلام يكرم كريم كل قوم ويولِّيه عليهم، وكان من سيرته إيثار أهل الفضل، وَقَسْمَهُ على قدر فضلهم في الدين.



وكان يُحسِن إلى خدَمه، يُطعمهم مما يأكل ويَكسوهم مما يلبس. وكان كريمًا جوادًا رؤوفًا رحيمًا، جَسورًا عند الحاجة وحليمًا عند الضرورة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال:

«ما سُئِلَ رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا».

ولم يفُهْ رسول الله ﷺ بكلمة فاحشة بذيئة، وكان يقول:

«ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»[١٤]

وكان عليه الصلاة والسلام ثابتًا في عهده ووعده، صادقًا في قوله، لا يفوقه أحد من الناس في حُسن أخلاقه ورجاحة عقله، يليق بكلِّ مدحٍ وثناء.

وكان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلام، فضلٌ لا فضول ولا تقصير، دَمِثًا ليس بالجافي ولا المَهين.[١٥]

لا تُغضِبُهُ الدنيا وما كان لها، فإذا تُعُوطي الحقَّ لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.

١٤ الترمذي، البر، ٦٢/ ٢٠٠٢.

١٥ رجل مَهين: قليل التمييز ضعيف الرأي.

كان دخوله لنفسه مأذونًا له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزَّأَ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جزَّأَ جزءَه بينه وبين الناس، فيسرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئًا.

وكان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذِكرٍ، لا يُوطِنُ الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قومٍ جلسَ حيث انتهى به المجلس، ويأمر بذلك.

من جالسه أو قاومه في حاجة صابَرَه حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وَسِعَ الناسَ منه بسْطُهُ وخُلقُهُ فصار لهم أبًا وصاروا في الحق عنده سواء، لا يفرِّق بين غني وفقير أو عالم وجاهل.

مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تُؤبَّنُ[١٦] فيه الحُرَمُ ولا تُنْثَى فلتاته،[١٧] متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون أو يحوطون الغريب.

---

١٦ أي لا تُذْكَر.

١٧ أي لا تُذْكَر زلَّاته.



إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتحلون بالأدب والحياء أمام النبي ﷺ حتى إنهم كانوا يستحيون أن يسألوه، وينتظرون حتى يأتي أعرابي فيسأله مسألة، فيستفيدوا بحديثه عليه الصلاة والسلام.[١٨]

➢ تواضع رسول الله ﷺ

لقد ظلَّ رسول الله ﷺ يحيا حياة التواضع التي كان يحياها في ماضيه دون أن يغتر بأي من نِعَم الدنيا التي بُسِطت تحت قدمَيه الشريفتَين، مع أنه ملَكَ من القوة والسلطة في وقت قصير ما لن يقدرَ على مُلكِه أحدٌ من الملوك؛ لا بل ملَكَ القلوب حين ملأها بمحبته وربَّاها خير تربية. وبقي يعيش حياة الفقراء البسيطة في حجرته المصنوعة من الطوب كما كان في الماضي دون أن تغيِّره الأيام، ونام على وسادة مصنوعة من أوراق النخيل، ولبس البسيط من اللباس، وعاش حياة الفقراء بل أدنى منها، وكان في بعض الأوقات لا يجد ما يأكله فيضع حجرًا على بطنه كي يُسكِّن جوعه، وظل يشكر ربه ويبتهل إليه مع أن الله عز وجل قد غفر

١٨ انظر: ابن سعد، مصنف، جـ١، ص١٢١، ٣٦٥، ٤٢٢- ٤٢٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٩، ص١٣.



له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر. وكان عليه الصلاة والسلام يقوم الليل ويصلي حتى تنتفخ قدماه، ويعين الغرباء، ويواسي اليتامى والمساكين، وكان ينشغل- بنفسه- بأعجز الناس على كِبَرِ شأنه، حتى إنه كان يحميهم ويرعاهم برأفته ورحمته الواسعة.

ويوم فتح مكة كان أقوى الرجال وأعظمَهم هيبة في نظر الناس، جاءه رجل يكلِّمه، فجعل ترعُدُ فرائِصُه خوفًا، فقال له النبي ﷺ:

«**هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد**[19]».[20]

وفي ذلكم اليوم جاء صاحبه في الغار أبو بكر رضي الله عنه يحمل أباه الشيخ على ظهره كي يُسلِم، فقال له النبي ﷺ:

«**ألا تركت الشيخ في بيته حتى نأتيه؟**»[21]

لذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول عن نفسه:

﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...**﴾[22]

١٩ القديد: لحم مقطَّع مُملَّح مجفَّف في الشمس.

٢٠ ابن ماجه، الأطعمة، ٣٠/ ٣٣١٢؛ الحاكم، المستدرك، جـ٣، ٥٠/ ٤٣٦٦.

٢١ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٦، ص١٧٤؛ ابن هشام، سيرة، جـ٤، ص٢٥؛ ابن سعد، مصنف، جـ٥، ص٤٥١.

٢٢ الكهف: ١١٠.



وكان رسول الله ﷺ يُصِرُّ على أن يذكُرَ صحابتُه لفظَ: «عبدُه» كما في قولهم: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»، كي لا تقع أمته في الضلال الذي وقعت فيه الأمم السابقة حينما ألَّهت البشر، وكان يقول:

«لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالى اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولا»[٢٣]

كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتي بتلك القصعة- يعني وقد ثرد فيها- فالتفوا عليها، فلما كثروا، جثا رسول الله ﷺ، فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال النبي ﷺ:

«إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا»[٢٤]

ووصفَ عليه الصلاة والسلام عجزَه الدائم في حضرة المولى جل جلاله، إذ قال:

«لن يُنجِّيَ أحدًا منكم عملُه»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة...»**.[٢٥]

٢٣ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٩، ص٢١/ ١٤٢٢٨.

٢٤ أبو داود، الأطعمة، ١٧/ ٣٧٧٣.

٢٥ البخاري، الرقاق، ١٨/ ٦٤٦٣؛ مسلم، المنافقون، ٧١-٧٢/ ٢٨١٦.

أي إنه ما لم يتنزَّل عليه رحمة الله تعالى ومغفرته وكرمه وفضله، فلن يدخل الجنة، ولن ينجو بأعماله الصالحة.

وكان عليه الصلاة والسلام يحذِّر أمته من نار جهنم، إذ بيَّنَ أن الذين يلبسون الجديد ويخالجهم شعور الغرور والكِبر والعُجب سيكون لباسهم ذلك حسرة وندامة، فقال:

«لا ينظر الله إلى مَن جرَّ ثوبه خيلاء»[٢٦]

وقال أيضًا:

«مَن لبس ثوب شهرة، ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة»[٢٧]

➢ سخاء رسول الله ﷺ

وصف رسول الله ﷺ نفسَه بأنه مسؤول عن الإنفاق، وبيَّن أن مالِك كل شيء إنما هو الله سبحانه وتعالى.

وقد شهد صفوان بن أمية– وكان من أكابر مشركي قريش– حُنينًا والطائف مع رسول الله ﷺ ولم يكن مسلمًا آنذاك. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة، فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها، ومعه صفوان بن أمية، جعل صفوان ينظر إلى شِعب مُلئ نَعَمًا وشَاءً ورِعَاءً، فأدام إليه النظر، ورسول الله ﷺ يرمقه، فقال:

---

٢٦ البخاري، اللباس، ١، ٥/ ٥٧٨٣.

٢٧ ابن ماجه، اللباس، ٢٤/ ٣٦٠٦.

«**أبا وهب، يعجبك هذا الشِعب؟**» قال: نعم. قال: «**هو لك وما فيه**». فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله! وأسلم مكانه.[٢٨]

ولما رجع إلى قومه قال:

«يا قوم أسلموا، فوالله إن محمدًا ليعطي عطاءً ما يخافُ الفقر»[٢٩]

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

«**ما عندي شيء أعطيك، ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك**» [٣٠]

وكان عليه الصلاة والسلام كجده إبراهيم عليه السلام لا يأكل الطعام وحده. وكان يأمر بإيفاء دين الميت أو كان يوفيه بنفسه، ولم يكن يصلي على الميت إن كان عليه حق لأحد، ويقول في الحديث الشريف:

«**السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار**»[٣١]

---

٢٨ الواقدي، مغازي، جـ٢، ص٨٥٤-٨٥٥.
٢٩ مسلم، الفضائل، ٥٧-٥٨؛ أحمد، جـ٣، ص١٠٧-١٠٠٨.
٣٠ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ١٠، ص٢٤١؛أبو داود، الخراج، ٣٣-٣٥/ ٣٠٥٥.
٣١ الترمذي، البر، ٤٠/ ١٩٦١.

ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث آخر:

«خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق»[32]

➢ **تقوى رسول الله ﷺ**

كان رسول الله ﷺ أتقى الناس، وكان يدعو الله تعالى قائلًا:

«اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها...»[33]

«اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى»[34]

وكان يحيا كالفقراء لتقواه، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

«ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بُرٍّ[35] مأدوم ثلاثة أيام، حتى لحق بالله» [36]

وقال عليه الصلاة والسلام ليحث أمته على حياة التقوى:

«إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»[37]

---

٣٢ الترمذي، البر، ٤١/ ١٩٦٢.

٣٣ مسلم، الذكر، ٧٣/ ٢٧٢٢.

٣٤ مسلم، الذكر، ٧٢/ ٢٧٢١.

٣٥ البُرّ: حب القمح.

٣٦ البخاري، الإيمان، ٢٢؛ ابن ماجه، الأطعمة، ٤٨.

٣٧ أحمد، جـ٥، ص٢٣٥/ ٢٢٥٢؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٩، ص٢٢.

وقال: «...**إنما أوليائي المتقون**...»[٣٨]

وقال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالِقِ الناس بخلق حسن**».[٣٩]

وبيَّن السبيل للتقوى بقوله:

«**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به البأس**» [٤٠]

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له:

«**انظر فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى**» [٤١]

➢ زهد رسول الله ﷺ

خضعت القبائل كلها لحكم رسول الله ﷺ طوعًا، وصار الحاكمَ على الجزيرة العربية كلها. وكان عليه الصلاة والسلام قادرًا على فعل ما يشاء، لكنه ظلَّ متواضعًا معلِّمًا الناسَ أنه لا يملك شيئًا، وأنَّ الملك كله لله وحده. وكانت بين يديه ثروة

٣٨ أبو داود، الفتن، ١/ ٤٢٤٢.
٣٩ الترمذي، البر، ٥٥/ ١٩٨٧.
٤٠ الترمذي، القيامة، ١٩/ ٢٤٥١؛ ابن ماجه، الزهد، ٢٤.
٤١ أحمد، جـ٥، ص١٥٨/ ٢١٤٠٧.



عظيمة، إذ تدفقت الأموال إلى المدينة المنورة على ظهور الإبل، فوزعها كلها على المحتاجين وبقي يعيش كما عاش في سالف الأيام.

وكان رسول الله ﷺ يقول:

«لو كان لي مثل أُحُد ذهبًا ما يسرني أن لا يمر عليَّ ثلاث، وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدَين».[٤٢]

وكانت تمضي الأيام ولا تُوقَد نارٌ للطعام في بيت سيدنا رسول الله ﷺ، وكان كثيرًا ما ينام وهو جائع.

ودخل سيدنا عمر رضي الله عنه مرةً حجرةَ النبي ﷺ، فلما نظر فيها وجدها فارغة، ويحدثنا عن ذلك فيقول:

«وإنه [أي رسول الله] لعلَى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم،[٤٣] حشوها ليف، وإن عند رجليه قَرَظًا[٤٤] مضبورًا[٤٥]، وعند رأسه أُهُبًا[٤٦] معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنب رسول الله ﷺ».

٤٢ البخاري، الاستقراض، ٢/ ٢٣٨٩؛ مسلم، الزكاة، ٣١/ ٩٩١.
٤٣ أَدَم: جلد مدبوغ.
٤٤ القَرَظُ: ورق السلم يدبغ به وقيل قشر البلوط.
٤٥ مضبورًا: مجموعًا.
٤٦ أُهُب: جمع إهاب وهو الجلد قبل الدباغ.



فكانت تلك ثروة رسول الله ﷺ حينما كانت الجزيرة العربية خاضعة له، فلمَّا رأى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما رآه بكى، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك؟**» فقال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال رسول الله ﷺ:

«**أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة؟**».[٤٧]

وعن عبد الله بن مسعود قال:

نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثَّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء، فقال:

«**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها**»[٤٨]

وكان رسول الله ﷺ يخشى من المسؤولية الملقاة على عاتق أصحاب الأموال والأملاك في الدنيا إذ سيُحاسبون عليها، فكان يدعو ربه قائلًا:

«**اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة**»[٤٩]

---

٤٧ مسلم، الطلاق، ٣١/ ١٤٧٩؛ البخاري، النكاح، ٨٣.

٤٨ الترمذي، الزهد، ٤٤/ ٢٣٧٧؛ ابن ماجه، الزهد، ٣.

٤٩ الترمذي، الزهد، ٣٧/ ٢٣٥٢؛ ابن ماجه، الزهد، ٧.

وحتى الأنبياء أنفسهم سيُسألون عن النِعم التي تنعموا بها وعن تبليغهم دين الله سبحانه وتعالى مع أنهم ضمنوا الجنة، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [50]

➢ لباقة رسول الله ﷺ

وكان عليه الصلاة والسلام ذا قلب رقيق مرهف، حتى إنه رأى يومًا رجلًا يبصق على الأرض، فاحمرَّ وجهه عليه الصلاة والسلام لما رأى، فسارعَ الصحابة وغطوا البصاق، ثم أكمل رسول الله ﷺ طريقه.

وأمر عليه الصلاة والسلام بإصلاح اللباس وتسويته، ولم يكن يُسرُّ بالثياب الرثَّة، ولم يستحسن أن يرى الرجلَ أشعثَ الشعر واللحية، فقد كان رسول الله ﷺ ذات يوم في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده- كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته- ففعل الرجل، ثم رجع فقال رسول الله ﷺ:

«أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟» [51]

---

٥٠ الأعراف، ٦.

٥١ الموطأ، الشَّعر، ٧؛ البيهقي، شعب، ٨، ٤٢٨؛ علي القاري، مرقاة، ٧، ٢٨٤٥.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال:

أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلًا شعثًا قد تفرق شعره فقال: «**أما كان يجد هذا ما يُسكِّن به شعره؟**»، ورأى رجلًا آخر وعليه ثياب وسخة، فقال: «**أما كان هذا يجد ماءً يغسل به ثوبه**»[٥٢]

فكان ذلك تنبيهًا منه عليه الصلاة والسلام إلى ضرورة نظافة المسلم وحسن مظهره.

فعن أبي الأحوص عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ في ثوب دُونٍ، فقال: «**ألك مال؟**» قال: نعم، قال: «**من أي المال؟**» قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال:

«**فإذا آتاك الله مالًا فليرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته**»[٥٣]

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر:

«**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[٥٤]

وكان النبي ﷺ يخدم ضيوفه بنفسه، ويكرمهم للطافته وحسن معاشرته.[٥٥] ولم يجادل أحدًا أو يخاصمه حتى في صغره.

---

٥٢ أبو داود، اللباس، ١٤/ ٤٠٦٢؛ النسائي، الزينة، ٦٠.

٥٣ أبو داود، اللباس، ١٤/ ٤٠٦٣؛ النسائي، الزينة، ٥٤؛ أحمد، جـ٤، ص١٣٧.

٥٤ الترمذي، الأدب، ٥٤/ ٢٨١٩؛ أحمد، جـ٢، ص٣١١.

٥٥ البيهقي، شعب، جـ٦، ص٥١٨، جـ٧، ص٤٣٦.



➢ أدب رسول الله ﷺ وحياؤه

لقد كان رسول الله ﷺ- كما أخبرنا الصحابةُ الكرام- أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، ولم يرفع عليه الصلاة والسلام يومًا صوته، وكان يمر على الناس بَاسمَ الوجه، وإن سمع من أحدٍ ما لا يسره من القول لم ينبِّهه باسمِه، وكان الصحابة يستشفون حاله من تعابير وجهه، فيحتاطون في كلامهم وحركاتهم، ولم يقهقه عليه الصلاة والسلام يومًا لشدة حيائه، بل كان ضحكه تبسُّمًا، وهو عليه الصلاة والسلام القائل:

«الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[٥٦]

وقال منبِّهًا إلى أهمية الحياء:

«الحياء والإيمان في قرن، فإذا سُلِب أحدهما اتبعه الآخر»[٥٧]

«ما كان الفحش في شيء إلا شانَه، وما كان الحياء في شيء إلا زانَه»[٥٨]

---

٥٦ ابن ماجة، الحياء، ١٧/ ٤١٨٤؛ أحمد، جـ٢، ص٥٠١/ ١٠٥١٢.

٥٧ الطبراني، الأوسط، جـ٨، ص١٧٤؛ البيهقي، شعب، جـ٦، ص١٤٠؛ السيوطي، الجامع الصغير، جـ١، ٥٣/ ١٩٦٣.

٥٨ الترمذي، البر، ٤٧/ ١٩٧٤.



والحياء الحقيقي يكون بـ «تذكر الموت» الذي يكون وسيلة لإخراج حُبِّ الدنيا من القلب، وكان رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالاستحياء من الله كل حين، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«استحيوا من الله حق الحياء»

قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال:

«ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» [٥٩]

وما ذكرَ رسول الله ﷺ خطأَ صحابي فوجَّهه إليه، بل كان يتساءل في نفسه عن حقيقة ما يرى كي يجعل المخطئ يشعر أن الخطأ لا يليق به، فيقول: **«ما لي أراكم!»** [٦٠]

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: **«ما بال فلان يقول؟»** ولكن يقول: **«ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟»**[٦١]

---

٥٩ الترمذي، القيامة، ٢٤/ ٢٤٥٨.

٦٠ انظر: البخاري، المناقب ٢٥، الأيمان ٣؛ مسلم، الصلاة، ١١٩.

٦١ أبو داود، الأدب، ٥/ ٤٧٨٨.



لقد كان ذلك النبي الكريم رمزًا للرحمة حتى حينما كان ينصح أصحابه، خوفًا من أن يُحزِنهم أو يعيبهم في شيء.

➢ شجاعة رسول الله ﷺ

لا يمكن أن يتخيل المرء بطلًا مِقدامًا أعظم منه عليه الصلاة والسلام، إذ لم يعرِف قلبُه الخوف والرعب من عدو أبدًا. وكان عليه الصلاة والسلام صابرًا ثابتًا أمام الشدائد والمصائب الجِسام، وكل حركة من حركاته إنما كانت تصدرُ عن تأنٍّ لا عجلة.

فهو عليه الصلاة والسلام الذي مرَّ من بين أولئك الذين أرادوا قتله دون خوف وهو يقرأ من أوائل سورة يس:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [٦٢]

وعن علي رضي الله عنه قال:

«لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا»[٦٣]

---

٦٢ يس، ٨-٩.

٦٣ أحمد، جـ١، ص٨٦.



فلقد كان عليه الصلاة والسلام يحارب في الصفوف الأولى دائمًا لإعلاء كلمة الله ﷻ، وفي غزوة حنين لما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار، ينادي صحابته، حتى اجتمعوا فكان النصر للمسلمين.[٦٤]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لولا أن أشقَّ على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل»[٦٥]

➢ لين طبع رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها، قالت:

«ما كان أحد أحسن خُلقًا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته، إلا قال: لبَّيك، ولذلك أنزل الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»[٦٦, ٦٧]

ولم ينتقم رسول الله ﷺ لنفسه يومًا. عن عائشة رضي الله عنها قالت:

٦٤ انظر: مسلم، الجهاد، ٧٦-٨١؛ أحمد، جـ٣، ١٥٧، جـ٥، ص٢٨٦.

٦٥ البخاري، الإيمان، ٢٦/ ٣٦؛ مسلم، الإمارة، ١٠٣، ١٠٧.

٦٦ القلم، ٤.

٦٧ الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص٤٧١.

«ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهَك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل»[68]

وعن أنس رضي الله عنه قال:

«كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة، ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ» [69]

«خدمته عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن يكون، ما قال لي فيها: أف، ولا قال لي: لمَ فعلت هذا؟ وألا فعلت هذا!»[70]

وقال رسول الله ﷺ للأشج أشج عبد القيس:

«**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة**»[71]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ:

---

٦٨ مسلم، الفضائل، ٧٩/ ٢٣٢٨.

٦٩ مسلم، الفضائل، ٨٢/ ٢٣٣٠.

٧٠ أحمد، جـ٣، ص٢٢٢/ ١٣٠٢١.

٧١ مسلم، الإيمان، ٢٥، ٢٦/ ١٧.



«دعوه وهريقوا على بوله سجلًا من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بُعِثتم مُيسِّرين، ولم تُبعثوا مُعسِّرين» [٧٢]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء، من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء» [٧٣]

وقد كانت لأحوال رسول الله ﷺ السامية وأخلاقه الحميدة دور عظيم في أداء واجبه في التبليغ، وقد بيَّن ربنا تعالى هذه الحقيقة في قوله:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [٧٤]

والحق أن الإنسان الجاهلي حينما رأى سمو أخلاق النبي وعفوه وحلمه، لم يجد بدًّا من الخضوع له، فتخلص من جاهليته

٧٢ البخاري، الوضوء، ٥٩/ ٢٢٠.

٧٣ البخاري، اللباس ١٨/ ٥٨٠٩، الأدب ٦٨/ ٦٠٨٨؛ مسلم، الزكاة، ١٢٨.

٧٤ آل عمران، ١٥٩.



ووحشيته، وانطلق ساعيًا نحو هذا النبي المبارك، ذلك أنه كان يريد للناس الهداية لا الخسران، والرحمة لا العذاب.

➢ رأفة رسول الله ﷺ ورحمته

يقول رسول الله ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٧٥]

ومن دلائل رفقه ورأفته الكبيرة أنه كان يقصر القراءة في الصلاة إن سمع ولدًا يبكي[٧٦]، وأنَّ لحيته كانت تبتل من البكاء في الليالي وهو يدعي لأمَّته، وأنه قد أمضى عمره كله حريصا أن يُنجيَ الناس من نار جهنم.

لقد أحاطت محبة رسول الله ﷺ ورحمتُه بكلِّ كائن حيٍّ، فهو المبعوث رحمةً للعالمين.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قيل: يا رسول الله ادعُ على المشركين قال:

«إني لم أُبعَث لعَّانًا، وإنما بُعِثتُ رحمةً»[٧٧]

---

٧٥ الترمذي، البر، ١٦/ ١٩٢٤.

٧٦ انظر: البخاري، الأذان، ٦٥.

٧٧ مسلم، البر، ٨٧/ ٢٥٩٩.



ولمَّا ذهب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الطائف يبلِّغهم دين الله ﷻ، رموه أهلها من الجهَّال وعبَّاد الأصنام بالحجارة، وفي طريق إيابه عليه الصلاة والسلام- وقد كان في همٍّ وحزن- أرسلَ الله تعالى إليه جبريلَ معه مَلَك الجبال. فناداه جبريل عليه السلام:

- إن الله قد سمع قولَ قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم،

فنادانه مَلَكُ الجبال فسلَّم عليه، ثم قال:

- يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبِقَ عليهم الأخشبَين[٧٨]؟

فقال النبي ﷺ:

«بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا».[٧٩]

فظلَّ أهل الطائف في الكفر والضلال حتى سنة ٩ للهجرة ونالوا من المسلمين كثيرًا، وقد قيلَ له: يا رسول الله، أخرقتنا نبالُ ثقيف فادعُ الله عليهم، فقال رسول الله ﷺ:

٧٨ الأخشبَين: جبلَي مكة أبي قبيس ومقابله قعيقعان سُمِّيَا بذلك لصلابتها وغلظ حجارتها.

٧٩ البخاري، بدء الخلق، ٧/ ٣٢٣١؛ مسلم، الجهاد، ١١١/ ١٧٩٥.

«**اللهم اهْدِ ثقيفًا وأتِ بهم**»[٨٠]

وعن أبي أسيد رضي الله عنه أنه جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام بسبي من البحرين، فنظر النبي عليه الصلاة والسلام إلى امرأة منهن تبكي قال: «**ما شأنك؟**» قالت: باع ابني قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لأبي أسيد: «**أبعت ابنها؟**» قال: نعم قال: «**فيمن؟**» قال: في بني عبس، فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

«**اركب أنت بنفسك فأت به**»[٨١]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**لن تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه؟**»

قالوا: بلى يا رسول الله. قال:

«**أفشوا السلام بينكم تحابوا، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا**»،

قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال:

«**إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة**»[٨٢]

٨٠ ابن هشام، سيرة، جـ٤، ص١٣٤؛ الترمذي، المناقب، ٧٣/ ٣٩٤٢.

٨١ الصنعاني، مصنف، جـ٨، ص٣٠٧.

٨٢ الحاكم، المستدرك، جـ٤، ١٨٥/ ٧٣١٠.



➢ عفو رسول الله ﷺ

إن الله سبحانه وتعالى يحب العفو، فالعبد إذا تاب نادمًا على ما ارتكبه من أخطاء، فقد وعدَ الله بقبول توبته. وهو تعالى يريد من عباده أن يعفوا عن إخوانهم.

وشرط العفو الندم، وطاعة أوامر الله وتجنب نواهيه. وخير نماذج العفو هي في سيرة رسول الله ﷺ، إذ عفا عن هند التي أمرت بقتل عمه الحبيب حمزة في أحد حين نطقت بكلمة الشهادتَين يوم فتح مكة.

وكان هبَّار بن الأسود من أشدِّ أعداء المسلمين، ولمَّا هاجرت زينب بنتُ النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، ضربها بالرمح وكانت حبلى فسقطت، وأسقطت هناك ما في بطنها، وكان سقوطها ذلك سببًا في وفاتها فيما بعد.

ولم يقتصر هبَّار على هذا الجرم فحسب، بل جارَ على المسلمين كثيرًا. ولمَّا فُتِحَت مكة هرب ولم يُقبَض عليه. وبينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه إذ طلع هبَّار بن الأسود، وقد جاء مُقِرًّا بالإسلام. فقبل منه رسول الله ﷺ، وعفا عنه. ومنع أصحابه من تحقيره والتعرض له.[83]

---

٨٣ انظر: الواقدي، مغازي، جـ٢، ص٨٥٧- ٨٥٨.

وكان عكرمة بن أبي جهل من أعداء الإسلام البارزين. وبعد فتح مكة هربَ إلى اليمن، ثم أحضرته زوجته إلى النبي محمد ﷺ وقد أسلمَ، فقال له رسول الله ﷺ برضا: «**مرحبًا بالراكب المهاجر**»[84] وعفا عمَّا ارتكبه من ظلم للمسلمين.

ولمَّا أسلمَ ثمامة بن أثال زعيم قبيلة اليمامة، قطع تجارته بمشركي مكة. وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة، فلما أضرَّ بهم، كتبوا إلى رسول الله ﷺ:

– إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم، وتحض عليها، وإن ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضرَّ بنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلِّيَ بيننا وبين ميرتنا فافعل. فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«**أن خلِّ بين قومي وبين ميرتهم**»[85]

مع أن أولئك المشركين أنفسهم قد أنزلوا بالمسلمين أشد العذاب لما قاطعوهم في مكة ثلاث سنوات. لكن نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام عفا عنهم على كل ما فعلوه.

وبعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة، بلغه عليه الصلاة والسلام ما فيه أهل مكة من الضر والحاجة والجدب والقحط

---

٨٤ الترمذي، الاستئذان، ٣٤/ ٢٧٣٥.

٨٥ ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ١، ٢١٤-٢١٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، جـ١، ص٢٩٥.

فبعث إليهم بشعير ذهب، وقيل نوى ذهب... وأخذه أبو سفيان كلَّه وفرَّقه على فقراء قريش، وقال: جزى الله ابن أخي خيرًا فإنه وَصُولٌ لرَحِمِه.[86]

فرقَّت أفئدة أهل مكة أمام مثل تلك الفضائل العظيمة، وأسلموا جميعًا بعد حين.

وفي الحديبية قبض الصحابة الكرام على جماعة يريدون قتل رسول الله، فعفا عنهم عليه الصلاة والسلام.[87]

وقد وضعت امرأةٌ يهودية السم في طعام رسول الله بعد فتح خيبر. فعرف رسول الله ﷺ لمَّا وضع لحم الشاة في فيه أن الطعام مسموم. فاعترفت المرأة اليهودية أنها وضعت السم في الطعام، ومع ذلك عفا عنها رسول الله ﷺ.[88]

وقد أوحى اللهُ تعالى إلى رسولَه الكريم فخبَّره عن لبيد المنافق الذي أقدم على سِحر النبي ﷺ وعمَّن حرَّضوه على ذلك. غير أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ وجه لبيد ولم يعيِّره بفعلته، ولم يعاقب رسول الله ﷺ لبيدًا الذي أراد قتله ولا قبيلته بني زريق.[89]

---

٨٦ اليعقوبي، تاريخ، جـ٢، ص٥٦.

٨٧ انظر: مسلم، الجهاد، ١٣٢، ١٣٣.

٨٨ انظر: البخاري، الطب، ٥٥؛ مسلم، السلام، ٤٣.

٨٩ انظر: البخاري، الطب، ٤٧، ٤٩؛ مسلم، السلام، ٤٣؛ النسائي، التحريم، ٢٠؛ ابن سعد، مصنف، جـ٢، ص١٩٧؛ أحمد، جـ٤، ص٣٦٧، جـ٦، ص٥٧.

لأن الله تعالى قال في كتابه الكريم:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [٩٠]

➢ رعاية رسول الله ﷺ لحقوق الجار

حثَّ سيدنا محمد ﷺ على مراعاة حقوق الجار، وقال في الحديث الشريف:

«ما زال يوصيني جبريل بالجار، حتى ظننتُ أنه سيورِّثُه» [٩١]

ويقول في حديث آخر:

«الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك، له حق الجوار؛ وجار له حقَّان وهو المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام؛ وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم، له حق الجوار والإسلام والرَّحم» [٩٢]

ومن حقوق الجار على الجار:

- ألَّا ينظرَ إلى نوافذ دارِ جاره،
- ويتجنَّب إيذاءه برائحة الطعام،
- وألا يظهر منه ما لا يسرُّه.

---

٩٠ الأعراف، ١٩٩.

٩١ البخاري، الأدب، ٢٨/ ٦٠١٤؛ مسلم، البر، ١٤٠-١٤١/ ٢٦٢٥.

٩٢ ابن حجر، فتح الباري، ١٠، ٤٥٦؛ السيوطي، الجامع الصغير، ١، ١٤٦/ ٣٦٥٦.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«...**خير الجيران عند الله خيرهم لجاره**» [93]

«**ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعانًا وجاره جائع إلى جنبه**»[94]

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«**إذا عملتَ مرقةً، فأكثر ماءها، واغتَرِفْ لجيرانك منها**»[95]

مع أن أبا ذرٍّ رضي الله عنه كان من الفقراء، ولا يقدر إلا على زيادة الطعام ماءً لإنه ما كان يملك إلا ما يكفيه. فنفهم من الحديث الشريف أنه حتى الفقير ليس له عذر في عدم إيفاء حق الجار.

عن أبي شريح، أن النبي ﷺ قال:

«**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[96]

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»[97]

---

٩٣ الترمذي، البر، ٢٨/ ١٩٤٤.

٩٤ الحاكم، المستدرك، ٢، ١٥/ ٢١٦٦.

٩٥ ابن ماجه، الأطعمة، ٥٨/ ٣٣٦٢.

٩٦ البخاري، الأدب، ٢٣٩/ ٦٠١٦؛ مسلم، الإيمان، ٧٣/ ٤٦؛ الترمذي، القيامة، ٦٠.

٩٧ مسلم، الإيمان، ٧٣/ ٤٦.



➢ هدي رسول الله ﷺ في معاملة الفقراء

كان عليه الصلاة والسلام يُعرَف برأفته بالفقراء واليتامى والمساكين والأرامل.[98]

لقد كان رسول الله ﷺ يعامل الفقراء برأفة أكثر حتى يعوِّضهم عما يعيشونه من نقص في الرفاه المادي.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال:

جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري، وقارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ، فسلم، ثم قال: «**ما كنتم تصنعون؟**» قلنا: يا رسول الله، إنه كان قارئ لنا يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله، قال: فقال رسول الله ﷺ:

«**الحمد لله الذي جعل من أمتي من أُمِرت أن أصبر نفسي معهم**»[99]

---

٩٨ انظر: البخاري، النفقات، ١؛ مسلم، الزهد، ٤١-٤٢.

٩٩ أشار نبينا الكريم ﷺ بقوله هذا إلى الآية الكريمة التي يقول فيها الله ﷻ:
﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨]
فيأمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ في هذه الآية أن يصبر مع أولئك الفقراء الضعفاء الذين كانوا أوائل من دخلوا الإسلام على ما قد يصيبهم من مصائب ومشقات، ويحسن معاملتهم.

قال: فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدِلَ بنفسه فينا، ثم قال: بيده هكذا، فتحلَّقوا وبرزت وجوههم له، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحدًا غيري، فقال رسول الله ﷺ:

«أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذاك خمسمئة سنة».[١٠٠]

وذات مرة كان رسول الله ﷺ جالسًا مع أصحابه في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة مُجتَابي النِّمَار[١٠١] أو العَبَاء... فتمعَّر[١٠٢] وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالًا فأذن وأقام، فصلى ثم خطب. فجُمِع لهم كومَين من ثياب وطعام، فتهلَّل وجه رسول الله ﷺ.[١٠٣]

إن حياة سيدنا محمد ﷺ حياة مليئة بالعِبر والحِكم وبمظاهر الاستقامة والأمانة والصدق والرأفة والرحمة واللطافة. وقد أوصى عليه الصلاة والسلام زوجته عائشة رضي الله عنها فقال:

١٠٠ أبو داود، العلم، ١٣/ ٣٦٦٦.

١٠١ مجتابي النمار: أي لابسيها خارقين أوساطها، والنمار جمع نمرة وهي ثياب صوف فيها تنمير.

١٠٢ تمعَّر: أي تغير.

١٠٣ انظر: مسلم، الزكاة، ٦٩.

«يا عائشة، لا ترُدِّي المسكين ولو بشق تمرة؛ يا عائشة، أحبِّي المساكين وقرِّبيهم فإن الله يقربك يوم القيامة» ١٠٤

وعن عباد بن شرحبيل رضي الله عنه قال:

أصابتني سَنَةٌ فدخلت حائطًا من حيطان المدينة ففركت سنبلًا فأكلت، وحملت في ثوبي، فجاء صاحبه فضربني وأخذ ثوبي، فأتيت رسول الله ﷺ فقال له:

«ما علَّمتَ إذ كان جاهلًا، ولا أطعمت إذ كان جائعًا».

وأمره فردَّ عليَّ ثوبي، وأعطاني وَسْقًا١٠٥ أو نصف وسق من طعام.١٠٦

ولم يكن ذلك حماية للسارق وتشجيعًا على السرقة، بل لتجنب الخَلل في المجتمع الذي كان سببًا لهذا الجُرم. فرسول الله عليه الصلاة والسلام لم يكن ليتردد في قطع يد السارق حتى لو كانت ابنته فاطمة رضي الله عنها.١٠٧

١٠٤ الترمذي، الزهد، ٣٧/ ٢٣٥٢.

١٠٥ الوَسْقُ: مِكيَلَةٌ معلومة، وهي ستُّون صَاعًا، والصاعُ خمسةُ أَرطال وثلث.

١٠٦ أبو داود، الجهاد، ٨٥/ ٢٦٢٠-٢٦٢١؛ النسائي، القضاة، ٢١.

١٠٧ انظر: البخاري، الأنبياء ٥٤، المغازي ٥٣، حدود ١٢، ١١؛ مسلم، حدود، ٩، ٨.

➢ هدي رسول الله ﷺ في معاملة الأسرى والخدم

شملت رأفة رسول الله ﷺ أسرى الحرب أيضًا، إذ كان يأمر بحسن معاملتهم. فعن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله ﷺ:

«استوصوا بالأسارى خيرًا».

وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني البر لوصية رسول الله ﷺ.[108]

كان هدف رسول الله ﷺ منذ بداية دعوته إزالة نظام العبودية، فخطا في سبيل ذلك خطوات عظيمة، إذ كان يحث على إعتاق العبيد، ويبيِّن فضل ذلك عند الله تعالى. وكان عتق العبيد أولَ ما يذكره في موضوع الكفارات. وقد أنفق صاحبه أبو بكر رضي الله عنه كثيرًا من ماله في إعتاق العبيد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

أتى النبي ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله، إن سيدي زوجني أمَتَه، وهو يريد أن يفرِّق بيني وبينها، قال: فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فقال:

108 الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٦، ص٨٦؛ ابن هشام، سيرة، جـ٢، ص٢٨٨.



«يا أيها الناس، ما بال أحدكم يزوج عبده أمته، ثم يريد أن يفرق بينهما، إنما الطلاق لمن أخذ بالساق».[١٠٩]

فصار الصحابة الكرام يرجِّحون إعتاق العبيد دائمًا أمام هذه المسؤوليات وأمثالها، حتى زال نظام العبودية. أي إن دين الإسلام قد كسر سلسلة العبودية التي كانت تُضرَب على الرقاب منذ فجر التاريخ لأنها من حقوق الحرب.

كان رسول الله ﷺ يأمر أرباب العبيد بقوله:

«...أطعموهم مما تطعمون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[١١٠]

لقد جعل الإسلام إعتاق العبيد عملًا صالحًا وسبيلًا للنجاة، وأعطى العبيد حقوقًا حين راعاها المسلمون، صار إعتاق العبيد أفضل من ملكهم، وبدا سيد العبيد كأنه عبد لدى عبيده.

وحسبنا أن نعلم أن آخر كلام رسول الله ﷺ:

«الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»[١١١]

١٠٩ ابن ماجه، الطلاق، ٣١/ ٢٠٨١؛ الطبراني، المعجم الكبير، جـ١١، ص٣٠٠.

١١٠ البخاري، الإيمان، ٢٢؛ مسلم، الأيمان، ٣٨/ ١٦٦١.

١١١ أبو داود، الأدب، ١٢٣-١٢٤/ ٥١٥٦؛ ابن ماجه، الوصايا، ١.

أي إن رسول الله ﷺ قد سدَّ الأبواب أمام نظام الرِّق وبيَّن المخرج من هذا النظام، وحثَّ على إعتاق العبيد في كل فرصة، فأي طريقة أفضل من هذه الطريقة في إنهاء هذا النظام؟

ويكفينا دليلًا على المكانة التي رفع الإسلامُ العبيدَ إليها أن نذكر أن بلالًا الحبشي كان عبدًا أسودَ قبل الإسلام، ولكنه بعد دخوله الإسلام صار مؤذن رسول الله ﷺ.

والخلاصة أن الإسلام رفع العبدَ إلى مقام السيِّد، ولهذا عارض المشركون دخول الإسلام.

واليوم ونحن في القرن الواحد والعشرين ألا نرى الخصال نفسها في الذين ينكرون الإسلام؟

ألا يجعل الغاصبون في هذا العالَم الناس الأحرار أسرى لديهم؟

ألا تُنتَهك حقوق الأبرياء والضعفاء وباسم الحرية من أجل أن يستمر الغاصبون في غصبهم؟

هل يختلف نظام العبودية الحديث عن نظام الرق القديم في هذا العالَم الذي يتغنَّى بأسماء ومصطلحات تروق للآذان؟

فالإسلام الذي قلَّص العبودية في الماضي بمسؤوليات ومبادئ سامية ثم أزالها هو الحل لأزمة الإنسانية اليوم ومفهومِ القيمة



والفضيلة، وإلا هلَكت الإنسانية بين مخالب الفكر النفعي الذي يدَّعي الحرية وحقيقته الأسْر والعبودية. فشتَّان بين مبادئ فاسدة ترى في الضعفاء محكومين بعبودية تمتص دمائهم، وبين رفعة الإسلام الذي وضع مبدأً ساميًا في معاملة الأسرى والعبيد بقول رسول الله ﷺ:

«**هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون**»[١١٢]

فخلاص الناس اليوم كما كان في الماضي إنما هو نبينا الكريم محمد ﷺ، هو اتباعه، لأنه جعل الإنسان يحيا إنسانًا بلا تفريق بين غني وفقير، أو سيد وعبد، وأعاد للإنسان شرفه، ووضع ثوابت في هذا الشأن.

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمتَ، ثم أعاد عليه الكلام، فصمتَ، فلما كان في الثالثة، قال:

«**اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة**»[١١٣]

ووصيَّته التالية لا مثيل لها في الرقة والظرافة والحرص على شرف الإنسان:

١١٢ مسلم، الأيمان، ٣٦-٣٨/ ١٦٦١.

١١٣ أبو داود، الأدب، ١٢٣-١٢٤/ ٥١٦٤؛ الترمذي، البر، ٣١/ ١٩٤٩.

«إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإنْ لم يُجلِسْهُ معه، فليناوله أُكلةً أو أُكلتَين، أو لقمةً أو لقمتَين، فإنه وَلِيَ[١١٤] حَرَّهُ وَعِلاَجَهُ[١١٥]».[١١٦]

ولو شاء الله تعالى لجعل العبدَ سيدًّا والسيدَ عبدًا، فعلينا أن نحمد الله تعالى ونحسن معاملة مَن هم تحت أمرنا.

➢ هدي رسول الله ﷺ في معاملة النساء

كانت النساء في الجاهلية يُعامَلنَ معاملةً لا تليق بشرف المرأة وطبيعتها وجوهرها، فكان كثير من الآباء يئدون بناتهم خوفًا من أن يلحقهم العار، أو خشيةً من الفاقة والفقر. فلما أرادوا أن يصونوا أنفسهم مما ظنوا أنه مصيبة شديدة، اقترفوا- لشدَّة جهلهم- جنايةً شنيعة وارتكبوا جُرمًا فظيعًا بقلوب لا تعرف الرحمة وكأنها قُدَّت من حَجرٍ، وقد ذكَرَ لنا الله تعالى في قرآنه الكريم أحوالهم إذ قال:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١١٧]

---

١١٤ وَلِيَ: تولىَّ.

١١٥ حَرَّه: حرُّ الطعام ورائحته أثناء طبخه، وعلاجه: تركيبه وتهيئته وإصلاحه.

١١٦ البخاري، الأطعمة، ٥٥/ ٥٤٦٠.

١١٧ النحل، ٥٨.

وكانوا يُهينون المرأة ويجدون فيها أداةً للمتعة واللذة ليس غير.

عندما جاء الإسلام، وُضِعَت حقوق المرأة تطبيقًا لأوامر الله ورسوله، وغدت المرأة رمزًا للعِفَّة والفضيلة في المجتمع، وصارت الأمومة شرفًا تبتغيه كل امرأة، وقد خصَّ نبي الرحمة المرأة الأم بثناء يليق بها، إذ لمَّا جاءَ رجلٌ إلى رسول الله ﷺ يستشيره في الجهاد، فسأله ﷺ:

«هل لكَ من أُمٍّ؟»

قال: نعم، قال:

«فالزمها، فإن الجنة تحت رجليها»[118]

وما أجمل المثال التالي الذي يبيِّن لينَ رسول الله ﷺ مع النساء: ففي أحد الأسفار كان عبدٌ اسمه أنجشة يغنِّي للإبل كي تُسرِع،[119] فخشي رسول الله ﷺ على أمهات المؤمنين- اللَّائي كنَّ يركبن الإبل- لِرِقَّة أجسادهن، فقال:

«ويحك يا أنجشة، رويدك سَوْقًا بالقوارير».[120] فما أجملَه من تشبيه!

---

١١٨ النسائي، الجهاد، ٦/ ٣١٠٤؛ أحمد، جـ ٣، ص٤٢٩/ ١٥٥٣٨.

١١٩ إن الإبل مولعة بالغناء والصوت الجميل، ورعاة الأبل يغنون لها كي تُسِرع في مشيها. ويطلق على هذا الفعل «الحُداء».

١٢٠ البخاري، الأدب، ٩٥/ ٦١٤٩؛ أحمد، جـ ٣، ص ١١٧.

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث شريف آخر:

«**اللهم إني أُحرِّج حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة**»[121]

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**لا يفرك**[122] **مؤمن مؤمنة، إنْ كره منها خلقًا رضي منها آخر**».[123]

لأن المرأة حقيقةً وردةٌ تستحق الحُبَّ لا شوكة تستحق البغض. والحبُّ هنا إكرام من الله تعالى. وقد قال رسول الله ﷺ:

«**حُبِّبَ إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجُعِلَ قرة عيني في الصلاة**»[124]

إن النِّساء والطِّيب من نِعَم الحياة الدنيا المهمة، ولكن ينبغي أن لا ننظر إلى هذا الحديث نظرة الغافلين.[125] ولا بد أن نعلم أن

---

١٢١ ابن ماجه، الأدب، ٦/ ٣٦٧٨.

١٢٢ أي يبغض.

١٢٣ مسلم، الرضاع، ٦١/ ١٤٦٩.

١٢٤ النسائي، عشرة النساء، ١٠/ ٣٩٣٩؛ أحمد، جـ٣، ١٢٨، ١٩٩/ ١٤٠٣٧.

١٢٥ لا يمكن النظر إلى أي زواج لرسول الله ﷺ على أنه ميلٌ شهواني أو شغفٌ نفساني. إذ لم يطلب رسول الله ﷺ أي فتاة في شبابه، وقَبِلَ بالزواج من السيدة خديجة التي طلبته للزواج وكانت أرملة ذات أولاد وعمرها آنذاك أربعون سنة، وأمضى ﷺ شبابه معها. أمَّا ما تلى زواجه من السيدة خديجة، فقد كان في كهولته (بعد سن الرابعة والخمسين).



الحُبَّ في الحديث السابق قد وضعه الله تعالى في فطرة البشر، وهو وسيلة للوصول إلى مرتبة الحب الإلهي، لذلك لا يعدُّ هذا الحُبُّ نظرةً دنيئةً للمرأة وشغفًا بها أبدًا، بل به تُمنَح المرأة القيمة العظيمة التي تستحقها.

وانظروا إلى تاريخ الإنسان، تجدوا أن المرأة لم تنل أعلى المراتب وأسمى المقامات إلا في فضاء الإسلام الرَّحب. أما الأنظمة البشرية التي تدعي رفعَ قيمة المرأة، فهي في نظرها ليست إلا أداةً للعرض، وهذه الأنظمة في الحقيقة تستخدم المرأة وسيلةً للمتعة وإشباع الشهوة، فتكبتُ بذلك حريتها وتمحق حقوقها.

ولم يكن أي زواج لرغبة عنده، بل أمرًا إلهيًّا، وكانت لِحِكَم كثيرة أهمها تعلُّم النساء أمور دينهنَّ من زوجات النبي ﷺ. وكانت أمهات المؤمنين لما تزوَّجهن رسول الله ﷺ أراملَ وعجائز ولديهن أولاد، ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها.

وخلاصة الأمر أن زواج رسول الله ﷺ بأكثر من واحدة كان في كهولته ومع انتشار الدين في البلاد. وذلك دليل واضح على أن زواجه ﷺ كان بأمر من الله تعالى، وابتغاء إيصال الإسلام إلى عدد أكبر من الناس بيُسرٍ وراحة.



فالمرأة والرجل عالَمان واسعَان يكمل أحدهما الآخر مذ خُلِقَا، غير أن الحق سبحانه وتعالى أعطى المرأة دورًا أعظم وأشدَّ تأثيرًا في عملية الإكمال هذه، لذلك كانت المرأة هي التي تبني المجتمعات أو تخربها، ومن هنا كانت تربية المرأة- التي تبني المجتمع- في نظر الإسلام هدفًا ساميًا ومقصَدًا عظيمًا.

يقول رسول الله ﷺ:

«مَنْ عالَ ثلاث بنات، فأَدَّبهُّن، وزوَّجهُّن، وأحسن إليهن، فله الجنة»[126]

«لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيُحسِنُ إليهن إلا دخل الجنة»[127]

«مَنْ عالَ جاريتَين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو». وضمَّ أصابعه»[128]

ورفعَ ﷺ قيمةَ المرأة الصالحة وأعزَّ شأنها حينما قال:

«الدنيا مَتاع، وخير مَتاع الدنيا المرأةُ الصالحة»[129]

١٢٦ أبو داود، الأدب، ١٢٠-١٢١/ ٥١٤٧؛ أحمد، جـ٣، ص٩٧.

١٢٧ الترمذي، البر، ١٣/ ١٩١٢.

١٢٨ مسلم، البر، ١٤٩/ ٢٦٣١؛ الترمذي، البر، ١٣/ ١٩١٤.

١٢٩ مسلم، الرضاع، ٦٤/ ١٤٦٧؛ النسائي، النكاح، ١٥؛ ابن ماجه، النكاح، ٥.

وإننا كثيرًا ما نرى أن وراء كلِّ رجل عظيم امرأة صالحة، فها هي السيدة خديجة رضي الله عنها تقف إلى جنب رسول الله ﷺ في بداية تبليغه الدين، وتكون له أعظم عون وأقوى سند، ولم ينسها رسول الله ﷺ طوال عمره. وكذلك كان للسيدة فاطمة رضي الله عنها دورٌ كبيرٌ في نجاح سيدنا علي رضي الله عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم»[١٣٠]

فما أشدَّها من دناءة وما أقبحها من رذالة أن يرى الرجلُ المرأةَ وسيلةً للمتعة، ويعاملها على أنها متاع لرغبات نفسه وشهواتها، وأن يهتمَّ بها لصفات في جسدها لا غير. فذلكم هو العمى عن الخصال الحميدة والسجايا الإنسانية التي وهبها الله سبحانه وتعالى للمرأة، والجحود بها.

وليس ثمة مشهدٌ أقسى ولا درجةٌ أدنى مما نرى المرأةَ عليه اليوم، إذ تسُتَغلُّ أداةً للإعلان بتعريتها في عالم الماديات وإشباع الشهوات.

١٣٠ الترمذي، الرضاع، ١١/ ١١٦٢.



على أنه ينبغي لنا أن ننظر إلى المرأة على أنها بانيةُ المجتمع، ولا بد أن تكون حضنَ الخير الذي يربِّي الصالحين والفاتحين والقادة من الرجال. وليس هناك مخلوق يستحق المحبة والاحترام مثل الأم التي تحمل طفلها في بطنها، ثم تضعه بين ذراعيها، ثم تسكنه في سويداء قلبها حتى الموت. والمرأة الوفيَّة التي تهب نفسها لأسرتها تليق بالمحبة العظيمة والاحترام الجليل والشكر الجزيل طوال العمر.

فما أعظم اللطافة والظرافة واللين في قول رسول الله ﷺ! وهل ثمة نظامٌ وضعَه البشرُ يعطي المرأة قيمتها وشرفها وحقوقها كما يعطيها الإسلام للمرأة؟!

➢ هديُ رسول الله ﷺ في معاملة اليتامى

ثمة كثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم تصف رعايةَ اليتيم، حيث يأمرنا الله تعالى بأن نرعى اليتامى، فيقول في كتابه العزيز:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [131]

وقد وصَّانا رسول الله ﷺ الذي وُلِد يتيمًا، فقال:

«كن لليتيم كالأب الرحيم»[132]

---

131 الضحى، ٩.

132 الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٨، ص١٦٣/ ٧٤٤٣.

وقال في أحاديث شريفة أخرى:

«خير بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسَنُ إليه، وشرُّ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُسَاءُ إليه» ١٣٣

«مَن قبضَ يتيمًا من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه، أدخله الله الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنبًا لا يُغفَرُ له».١٣٤

«مَن مسحَ رأس يتيم لم يمسَحه إلا لله، كان له بكل شعرة مرَّتْ عليها يده حسنات»١٣٥

وكان نبي الرحمة ﷺ يوصي بالمنكسرة قلوبهم في المجتمع ويصرُّ على مساعدتهم وإعانتهم، إذ قال مرَّةً:

«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى.١٣٦

وعن أبي هريرة أن رجلًا شكا إلى النبي ﷺ قسوةَ قلبه، فقال له:

«إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»١٣٧

١٣٣ ابن ماجه، الأدب، ٦/ ٣٦٧٩.

١٣٤ الترمذي، البر، ١٤/ ١٩١٧.

١٣٥ أحمد، جـ ٥، ص٢٥٠/ ٢٢١٥٣.

١٣٦ البخاري، الأدب، ٢٤/ ٦٠٠٥.

١٣٧ أحمد، جـ٢، ٢٦٣، ٣٨٧/ ٧٥٧٦.



➢ هديُ رسول الله ﷺ في معاملة الحيوانات

كان الأساس في كل فعل من أفعال النبي ﷺ الرحمة والمحبة، لأنه كان يعامل جميع المخلوقات بالرأفة ويقضي حاجة كل محتاج، وقد شملت رحمته ومحبته العظيمة الحيوانات أيضًا.

كان الناس في الجاهلية يعاملون الحيوانات معاملة ظلم ووحشية، إذ كانوا يقطعون أسنمة الإبل وأَلْيَة الغنم وهي حية، ويتمتَّعون بمسابقات تتصارع فيها الحيوانات، فأنهى رسول الله ﷺ تلك المظاهر التي ليس فيها أي ذرة من الإنسانية.

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يجبون أسنمة الإبل، ويقطعون أليات الغنم، فقال:

«ما قُطِعَ من البهيمة وهي حية فهي ميتة»[١٣٨]

وقد رأى رسول الله ﷺ حمارًا وُسِم في وجهه، فقال:

«لعن الله الذي وَسَمه» [١٣٩]

فعن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرَةً[١٤٠]

---

١٣٨ الترمذي، الصيد، ١٢/ ١٤٨٠.

١٣٩ مسلم اللباس، ١٠٧/ ٢١١٧.

١٤٠ الحُمَّرُ: القُبرَّ، نوعٌ من العصافير.

معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرِش،[١٤١] فجاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

«من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها».

ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: **«من حرق هذه؟»** قلنا: نحن. قال:

«إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا رب النار» [١٤٢]

ومرَّ رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه من شدة الهزال، فقال:

«اتقوا الله في هذه البهائم الْمُعْجَمَةِ،[١٤٣] فاركَبوها صالحة، وكلوها صالحة»[١٤٤]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا أضجع شاة يريد أن يذبحها وهو يحد شَفرَتَه، فقال النبي ﷺ:

«أتريد أن تميتها موتات؟ هلَّا حددْتَ شفرتك قبل أن تضجعها»[١٤٥]

---

١٤١ فَرَشَ الطائر جناحيه: رفرف بجناحيه، بسطهما.

١٤٢ أبو داود، الجهاد، ١١٢/ ٢٦٧٥، الأدب ١٦٣- ١٦٤/ ٥٢٦٨.

١٤٣ المعجمة: أي التي لا تنطق.

١٤٤ أبو داود، الجهاد، ٤٤/ ٢٥٤٨.

١٤٥ الحاكم، المستدرك، جـ٤، ٢٥٧، ٢٦٠/ ٧٥٧٠.

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف:

«ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار، على كل قريب هين سهل»[146]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«عُذِّبَت امرأةٌ في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش[147] **الأرض»**.[148]

لقد استطاع رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله التي أصبحت موازينَ لأمته أن يغيِّر المجتمع الجاهلي إلى مجتمع سعيد فاضل، فأولئك الذين كانوا في ما مضى يُسِيئون معاملة الإنسان، لا بل كانوا يرتكبون ما هو أفظع إذ كانوا يئدون بناتهم أحياء، غدوا رموزًا للرحمة والرأفة اللَّتين شملتا حتى الحيوانات.

فلقد ربَّاهم رسول الله ﷺ على أساس الرحمة والرأفة والرِّقَّة حتى صاروا رحماء فيما بينهم، وكيف لا يكونون كذلك ورسول الله ﷺ أسوتُهم الحسنة الذي كان يهتم حتى بطائر صغير.

---

١٤٦ الترمذي، جـ ٤، ٦٥٤/ ٢٤٨٨؛ أحمد، جـ١، ص٤١٥.

١٤٧ الخشاش: حشرات الأرض.

١٤٨ البخاري، الأنبياء ٥٤/ ٣٤٨٢؛ مسلم، السلام ١٥١، ١٥٤/ ٢٢٤٢، البر ١٣٣ / ٢٢٤٢.



ومن الحقائق التي تُظهِرها هذه الأحاديث الشريفة أنه يجب أن تكون رحمة المؤمن الكامل واسعة فتشمل الحيوانات الوحشية، والإسلامُ يبيِّن حتى طريقة قتل الحيوانات الضارة مثل الحيَّة والعقرب وذلك بأن تكون بضربة واحدة كي لا يتعذَّب الحيوان، يقول رسول الله ﷺ:

«**من قتل وزغًا**[١٤٩] **في أول ضربة كُتِبَت له مئة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك**» [١٥٠]

أَفليسَ أمرُه عليه الصلاة والسلام بالرحمة حتى في قتل الحيوانات الضارة دليلًا على رأفته التي لا تدانيها رأفة؟



ولم يفتخر النبي ﷺ البتة بعبوديته وطاعته لله سبحانه وتعالى، بل كان يذكر بعض النعم التي أنعمها عليه المولى جل جلاله ويقول: «**ولا فخر**»[١٥١]

إن المديح والثناء منبعُ الغرور، ومن عِلل طغيان المرء. وكان رسول الله ﷺ يقول لصحابته: «**قولوا عبد الله ورسوله**»[١٥٢] مع أنه أشرف الخلق، وهو الذي أثنى عليه الله جلَّ وعلا.

---

١٤٩ الوزغ: من فصيلة الزواحف، سامٌّ أبرص.

١٥٠ مسلم، السلام، ١٤٧/ ٢٢٤٠؛ أبو داود، الأدب، ١٦٢-١٦٣/ ٥٢٦٣.

١٥١ الدارمي، المقدمة، ٨؛ انظر أيضًا: الترمذي، المناقب، ١/ ٣٦١٦.

١٥٢ البخاري، الأنبياء، ٤٨.



وإننا لن نجد في الميزان الذي أقامه مع تقلبات الحياة ومدها وجزرها أي عيب أو قصور أو نقصان، ولا يمكن إيجاد أسوة أخرى مثله في التاريخ.

ولعلنا نصادف في المجتمعات أبطالًا تميزوا وظهرت مهارات لهم في جوانب من الحياة، لكن رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة التي جمعت أوصاف الكمال وخصائص الجمال.

وصفوة الكلام أنه عليه الصلاة والسلام كان الأسوة الحسنة في كل شأن في الماضي والحاضر والمستقبل، وقدَّم للناس جميعًا فضائل وصفات وخصالًا لا مثيل لها في العبودية والمعاملات والأخلاق، إذ كان مدركًا مسؤولية أن يكون أسوة لأمته.

وكان حرصه على الصلاة فوق كل شيء، إذ كان ينام قليلًا من الليل، ويقوم أكثره. وعندما كان في مرضه الأخير حين اشتد، خرج من حجرته إلى مسجده وصلَّى في جماعة.

يقول الصحابي عبد الله بن الشخير رضي الله عنه في خشوع النبي في صلاته:

«رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء عليه الصلاة والسلام» [١٥٣]

١٥٣ أبو داود، الصلاة، ١٥٦-١٥٧/ ٩٠٤؛ النسائي، السهو، ١٨.



ولم يكن يمر على رسول الله ﷺ أسبوع أو شهر إلا صام فيه، على الرغم من أن الصيام فرض في شهر رمضان فقط.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم.[١٥٤]

كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام البيض من كل شهر أي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وستًّا من شوال، ويوم عاشوراء، وأيام الاثنين والخميس.

وقد أمرَ المسلمين بالزكاة والإنفاق مع نزول آيات الزكاة، وكان قدوةً لهم في الإنفاق، وخير مَن يطبِّق قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[١٥٥] وكان يثني على مَن ينفق ماله في الخير وأرباب التجارة من المتقين.

لم يكن رسول الله ﷺ يُبقي شيئًا لنفسه من متاع الدنيا، بل ينفقه كله في سبيل الله تعالى.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاء، ونحن ننظر إلى أُحَد، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر**» قال: قلت: لبيك يا

---

١٥٤ البخاري، الصوم، ٥٢/ ١٩٦٩.

١٥٥ البقرة، ٣.



رسول الله، قال: «**ما أُحِبُّ أن أُحُدًا ذاك عندي ذهبٌ، أمسى ثالثة عندي منه دينار، إلا دينارًا أرصده لدَين**»[١٥٦]

وكان يصوم صوم الوصال ليومَين أو ثلاثة، ولمَّا أراد الصحابة الكرام الاقتداء به، نهاهم.[١٥٧]

لذلك علينا أن نعلم أن رسول الله ﷺ قدوتنا الوحيدة، وأن نعلم حدودنا في الاقتداء به، لأن أفعاله عليه الصلاة والسلام على قسمَين: قسم منحصر به، وقسم يشمل الأمة كلها.

ومن هنا ندرك أننا لسنا مكلَّفين بالاقتداء به في الفضائل السامية التي تنحصر به عليه الصلاة والسلام، لأن مثل هذه الفضائل السامية كالنجوم لا ندركها، وليست لدينا طاقة للاقتداء بها. ولكننا مكلَّفون بتقليده واتباعه عليه الصلاة والسلام والسير على خطاه في القسم الثاني من أفعاله طوال حياتنا على قدر طاقتنا.

فكلُّ مَن يسير على هديه عليه الصلاة والسلام على قدر طاقته يكون مُحيمدًا في حياته وإنْ لم يصل إلى درجته عليه الصلاة والسلام.

١٥٦ البخاري، الاستقراض، ٣؛ مسلم، الزكاة، ٣٢/ ٩٤.

١٥٧ انظر: البخاري، الصوم، ٤٨.





الفصل الثالث



صلاح القلب

لدى اتباع رسول الله ﷺ

صلاح القلب لدى اتباع رسول الله ﷺ

علينا أن نصلح قلوبنا أولًا كي نصل إلى درجة الأخلاق السامية التي كانت لدى الصحابة الكرام حين اقتدوا برسول الله ﷺ، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١٥٨]

فنفهم من هذه الآية أن رجاء الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا خطوتان عظيمتان للاقتداء برسول الله ﷺ كما ينبغي.

فالعبادات تؤدَّى في أوقات معيَّنة، أما الحفاظ على الإيمان فواجبٌ كلَّ حين. وليس يمكن مقاومة تقلبات القلب إلا بالذكر الدائم.

١٥٨ الأحزاب، ٢١.



يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [١٥٩] ولم يُذكَر هنا عدد مرات الذكر أو مقداره، لأن المطلوب منه هو أعلى درجة.[١٦٠] فالواجب على العبد هنا أن يذكر الله كثيرًا ما استطاع.

يقول الله تعالى في موضع آخر:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١٦١]

ولا يعني ذكرُ الله تكرار لفظ الجلالة فقط، بل إيجاد هذا اللفظ محلًّا له في القلب الذي يعد مركز الحس فيبعث الطمأنينة ويجد صاحبها اللذة. وإذا ذكرَ القلبُ ربه، زالت أمراضه، وجلَا صدؤه، وشعَّ نورًا، وزاد رِقَّة، وتعطَّش للأسرار الإلهية. وإذا كانت ضربات القلب كما أمرَ الله، عظُمَت النيات والأعمال.

قال رسول الله ﷺ: «**علامةُ حبِّ الله حبُّ ذكر الله**»[١٦٢]

والمُحِبُّ لا ينسى حبيبه أبدًا، ولا يفتئ يذكره بلسانه وقلبه.

---

١٥٩ الأحزاب، ٤١؛ انظر أيضًا: الجمعة، ١٠.

١٦٠ إذا لم يرد حدٌّ أو مقدارٌ بعد الأمر، فإن المقصود من الأمر أعلى درجاته وأفضلها.

١٦١ الرعد، ٢٧-٢٨.

١٦٢ البيهقي، شعب، جـ٢، ص١٢/ ٤٠٥؛ السيوطي، الجامع الصغير، جـ٢، ص٥٢.

والقلبُ الذي يريد أن يعيش لذة الإيمان وصفاءه، يظل يذكر الله، يذكره قائمًا وقاعدًا ومضجعًا ويتفكر في خلق السماوات والأرض، ويقول:

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١٦٣]

أما القلب الذي ليست لديه هذه الرِّقة، فلا يطلب اللهَ القائل في كتابه الكريم:

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١٦٤]

وخلاصة الكلام أنه لا بد من ملء القلب بمحبة الله من أجل اتباع رسول الله ﷺ والاقتداء به، ولا بد من تخليته من كلِّ حُب فان وتحليته بذكر الله.

➢ اتباع رسول الله ﷺ بمحبة

إن نتيجةَ محبة الرسول ﷺ الاقتداءُ به والسيرُ على دربه واتباعُه بتسليم تام، فقد كان بسيرته رحمة للناس في كل أحوالهم. وقد بيَّن الله تعالى عِظم رحمة رسول الله ورأفته بالمؤمنين إذ قال في كتابه الكريم:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١٦٥]

---

١٦٣ آل عمران، ١٩١.

١٦٤ الزمر، ٢٢.

١٦٥ التوبة، ١٢٨.



ومن الأحاديث الشريفة التي تبيِّن رحمته ورأفته ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ قال: نعى إلينا رسول الله ﷺ، بأبي هو، نفسَه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا إليه في بيت أمنا عائشة، ثم نظر إلينا، ودمعت عيناه، وتشدد، فقال: «مرحبًا بكم، حياكم الله، رحمكم الله، آواكم الله، نصركم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، هداكم الله، رزقكم الله، وفَّقكم الله، سلَّمكم الله...»[١٦٦]

كان عليه الصلاة والسلام رحمة عامة للناس بأقواله وأفعاله وأخلاقه، وكان هاديًا مرشدًا، وتحمَّل عظيم المشقَّات وشديد المصائب في سبيل هداية الناس. وكان صابرًا ساعيًا من أجل هداية أمته حتى إن الله نبَّهه إذ قال:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[١٦٧]

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١٦٨]

فهاتان الآيتان الكريمتان دليل على رغبة النبي ﷺ وحرصه على أن يؤمن كل إنسان في هذه الأرض بالله تعالى ويقي نفسه من عذاب النار انطلاقًا من رحمته ورأفته بالناس جميعًا.

---

١٦٦ الطبراني، الأوسط، جـ٤، ص٢٠٨/ ٣٩٩٦؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، جـ٤، ص١٦٨.

١٦٧ الكهف، ٦.

١٦٨ الشعراء، ٣.

فعلينا- نحن أمته- أن نتفكَّر ونتأمل عِظم رحمته ورأفته ومحبته لأمته.

والحق أن مقدار محبتنا لرسول الله ﷺ يظهر باتباعنا للكتاب والسنة واقتدائنا بأحواله عليه الصلاة والسلام. علينا أن نتفكر كيف كان يحبه الصحابة الكرام الذين ضحوا بكل شيء في سبيله، ونتساءل كيف اقتدوا به وكيف جعلوا أخلاقه في حياتهم؟ وأين نحن من أحوال الصحابة؟ علينا أن نقيس محبتنا له بهذه المقاييس ونزيِّن قلوبنا بأخلاقه عليه الصلاة والسلام. علينا أن نطهِّر ذنوبنا وعيوبنا وأخطاءنا وعصياننا بالتحلي بأخلاقه، ونُحيي قلوبنا بالحِكَم والروحانيات التي كانت في سيرته العطرة.

إن سِرَّ الوصول إلى مرضاة الله هو اتباع كتاب الله وسُنَّة نبيِّه الطاهرة، وبالتحلي بالأخلاق السامية والأعمال الصالحة، وبحب ما يحبه الله ورسوله وببغض ما يبغضَانه.

فمحبة الله ورسوله تحيي القلب وتصحِّح الجسد وتدل على الخير. ومن المحال أن يجتمع في القلب الحب والكره، والقلب لا يقبل الفراغ، فانعدام الكره سبب لوجود الحب، والعكس صحيح، والفرقُ بين هذَين المتناقضَين كالفرق بين أعلى عليين وأسفل سافلين.



لمَّا رمى أهل الطائف النبي ﷺ بالحجارة بعد أن دعاهم إلى دين الإسلام، ما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن يدعو لهم بالخير والهداية، أفليس هذا دليلًا على رحمته ورأفته بأمته وعِظَم تضحياته؟

والحق أن الإنسانية نالت أعظم قدوة بنبوة رسول الله ﷺ، لذلك يقع على الذين يتبعون أهواءهم اليومَ مسؤولية أعظم ممَّن عاشوا في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ.

إن البشرية اليوم تعيش تحت سلطة النفس وأهوائها، فهي بحاجة للاقتداء بالنبي ﷺ. وكان أعظم مؤثر في صفحات تاريخنا المشرقة المؤمنين الصالحين ورثة النبي وسيرة حياتهم. ومن المؤسف أن نشهد اليوم ضعفًا في الجانب الروحاني في الناس لقلة أمثال هؤلاء.

فنحن اليوم بحاجة إلى قدوات حتى نتبع خطا نبيِّنا الكريم عليه الصلاة والسلام، ونصل إلى تلك الدرجة المعنوية التي كان عليها أهل الله.

ومن أجل ذلك علينا أن نفهمهم ونقتدي بهم، أي نعلم جيدًا حقيقة علاقتهم بهذا العالَم الفاني، وكيف استعملوا عقولهم وأفكارهم وأنفسهم وأموالهم فبلغوا تلك الدرجة العالية وهدوا الناس إلى الصراط المستقيم.



عصر السعادة: عصر رسول الله ﷺ

كان لتربية رسول الله ﷺ وروحانياته عظيمَ الأثر جعلَ المجتمع الجاهلي الذي كان مجتمعًا وحشيًّا لا يعرف شيئًا عن الإنسانية مجتمعًا حضاريًّا راقيًا يغبطه الناس على مرِّ العصور، إذ جمعَ رسول الله ﷺ مجتمع الصحابة ووحَّدهم في الدين والراية والحقوق والثقافة والحضارة والإدارة، وجعلَ عليه الصلاة والسلام الإنسانَ الجاهلي إنسانًا مثقفًا، والوحشيَّ مدنيًّا، والمجرم متقيًا، أي جعل ذلك المجتمع مجتمعًا من الصالحين يعيشون بين الخوف والرجاء من ربهم.

لم يستطع المجتمع الجاهلي على مدى القرون أن يربِّي حتى فردًا واحدًا تربية سليمة، فجاء رسول الله ﷺ فربَّى كثيرًا من الناس تربية معنوية ليخرج جيل من الصحابة يلمعون في سماء الإسلام كما تلمع النجوم، فحملوا مشاعل الإيمان والعلم إلى أصقاع الأرض. وكان ذلك النور النازل في الصحراء دليلًا للبشر جميعًا إلى الحق والعدل.



كان مجتمع عصر السعادة الذي ربَّاه رسول الله ﷺ مجتمعًا فاضلًا، وكيف لا يكون ورسول الله ﷺ أسوة حسنة للناس أجمعين؟ كان ذلك المجتمع مجتمع التفكر والتدبر، مجتمع التعرف إلى الله ورسوله. وكانت فكرة التوحيد ثابتة في فكر الصحابي وذهنه، وأزال عن قلبه جميع المنافع الدنيوية وأهواء النفس، وصار المال والنفس وسيلةً لديه لا غاية، وذاق لذة الإيمان، واتسعت الرحمة في قلبه، وصارت الخدمة ديدنه في حياته، فمثَّل الإسلام خير تمثيل. وكان الصحابي يسافر مسيرة شهر كي يتعلم حديثًا من أحاديث رسول الله ﷺ.

لنا أن نتساءل هنا: ماذا أخذ الصحابة من رسول الله ﷺ؟

أ. الانعكاس، أي انعكاس أحوال رسول الله ﷺ على الصحابة الكرام.

ب. القرب من مرضاة الله تعالى ومعرفة الله قلبًا.

استطاعت الدولة الإسلامية الصغيرة التي أسسها نحو من أربعمئة أسرة مسلمة في المدينة المنورة أن توسِّع حدودها حتى بلغت العراق والشام في عشر سنين. ولمَّا توفي رسول الله ﷺ كانت هذه الدولة الإسلامية في حرب مع الفرس والبيزنطيين. ولم تتغير أحوال الصحابة الكرام بعد وفاته عليه الصلاة والسلام



وما تبدل نمط عيشهم. كان الصحابي يُعرِض عن الترف والبذخ، وكان مدركًا أن هذه النفس التي بين جنبَيه آيلةٌ إلى التراب غدًا، فكان يتجنب حصر نِعَم الدنيا في نفسه، والإسراف فيها. وكان يستعمل هذه النِّعَم وسيلةً لهداية الناس وسعادتهم، ويجعل حياته في سبيل بلوغ مرضاة الله تعالى. فكان من أسباب انتشار الإسلام بين مجتمع المظلومين والمقهورين كشروق الشمس أن الصحابة الكرام كانوا يمثِّلون الإسلام خير تمثيل حيثما حلُّوا. فقد كانوا طلبةَ رسول الله ﷺ المجتهدين، ينظرون إلى خلق الله نظرة رحمة ورأفة، ويحملون بين طيَّات نفوسهم الإيثار والصدق والعدل ونور الرسالة. وكانوا دائمًا يتساءلون: «بماذا يأمرنا الله؟ كيف يريد أن يرانا رسول الله؟».

لقد تخلص الصحابة الكرام من شر النفس الأمَّارة وصاروا يحاسبون أنفسهم في كل حركاتهم وسكناتهم.

يقول الإمام القرافي (توفي: ٦٨٤هـ) وهو عالم في الأصول:

«لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه، لكفوه لإثبات نبوته».

كان الصحابة الكرام مثالًا حيًّا لمعجزة القرآن، وبلغوا الذروة في الفراسة والبصيرة والقيم الإنسانية.



استعمل الصحابة الكرام العقلَ والقلبَ اللذَين يوصلان المؤمن إلى درجات الكمال استعمالًا متناغمًا، وأدركوا أن الإنسان ما أُتيَ به إلى هذه الدنيا إلا للامتحان، ولم تغب عنهم تجليات عظمة الله وقدرته في الكون، وانطلقوا في أنحاء الأرض حتى وصلوا إلى حدود سمرقند والصين لنشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم وصل الذين جاؤوا من بعدهم إلى الأندلس. وكان للتفكر والتدبر في مجتمع الصحابة الكرام شأن عظيم، فكانوا يتفكرون في خلق الإنسان من ماء مهين، والطير من بيضة صغيرة، والشجرة الباسقة من بذرة لا تكاد تُرى.

وكانت أمتع الأوقات للصحابة الكرام حين يبلِّغون رسالة التوحيد للناس. عاشوا رضوان الله عليهم بالقرآن ومن أجل القرآن. ولم يرَ التاريخ مثلهم في سعيهم وخدمتهم. تعرضوا للظلم والتعذيب، غير أنهم لم يتخلوا عن الفضائل والمحاسن والمكارم التي يؤمنون بها. تركوا أموالهم ومساكنهم وهاجروا من أجل عيش آيات الله تعالى، وضحوا بكل شيء في سبيل هذه الغاية.

كان الصحابة الكرام يسعون لتطبيق كلِّ آية من آيات القرآن المبين، ولم يحيدوا عمَّا جاء في القرآن حتى في أشد اللحظات تهلكةً. لمَّا أُصيبَ أحد الصحابة ببضع سهام وهو يحرس في ثغر



من الثغور أخبر صاحبه، فقال صاحبه: ما منعك أن توقظني به في أول سهم رمى به؟ قال: كنت في سورة أقرأها وهي سورة الكهف، فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغرًا أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتي على نفسي.[١٦٩]

كان القرآن الكريم محور حياة الصحابة الكرام، وكانوا يجدون في كل ركن من أركان الدين لذة عظيمة، وكانت كل آية تنزل كالمائدة تنزل عليهم من السماء، وجعلوا كلَّ همهم عيشَ القرآن الكريم ليكونوا قدوة لغيرهم. وخير مثال يبيِّن هذه الحقيقة أن صحابيةً جعلت مهرها تعليم زوجها ما يعلمه من القرآن الكريم.[١٧٠]

وكان الصحابة الكرام يقومون الليل يصلون ويذكرون الله ويستغفرونه في الأسحار، ويفضِّلون تلاوة القرآن على النوم في الأرائك، حتى إنَّ المارَّ من أمام بيوتهم كان يسمع منها دويًّا كدوي النحل.

وكان رسول الله ﷺ يعلِّمهم القرآن حتى في أشد الظروف، فعن أنس رضي الله عنه قال:

١٦٩ انظر: أبو داود، الطهارة، ٧٨/ ١٩٨؛ أحمد، جـ٣، ص٣٤٤

١٧٠ انظر: البخاري، النكاح، ٦، ٣٢، ٣٥؛ فضائل القرآن، ٢١، ٢٢؛ مسلم، النكاح، ٧٦.

«أقبل أبو طلحة يومًا فإذا النبي ﷺ قائم يُقرِئ أصحاب الصُّفَّة على بطنه فصيل من حجر يقيم به صلبه من الجوع»[١٧١]

فكان شغلهم الشاغل فهمَ كتاب الله وتعلمه، وشوقهم دائمًا إلى تكرار تلاوته والإنصات إليه.

اقتدى الصحابة الكرام برسول الله، فغدت المدينة المنورة مركزًا من مراكز العلم.

وهكذا كان عصر السعادة، عصر رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين.

فلو اجتمع علماء النفس والاجتماع والتربية والفلاسفة وأمثالهم، فهل يستطيعون أن يبنوا مجتمعًا فاضلًا فيه شيء مما كان في مجتمع عصر السعادة؟ كلا بلا ريب... وهنا نذكر أن «المدينة الفاضلة» التي تخيَّلها الفارابي بقيت حبيسة الرفوف يعلوها الغبار...

١٧١ أبو نعيم، حلية الأولياء، جـ١، ص٣٤٢.



لمعات محبة رسول الله ﷺ

إن ينبوع الرحمة الوحيد الذي يحمل العبد إلى بحر محبة الله تعالى إنما هو رسول الله محمد ﷺ، لأن محبته محبةُ الله، وطاعته طاعةٌ لله، وعصيانه عصيان لله.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٧٢]

فبعد كلمة "لا إله إلا الله" تأتي كلمة "محمد رسول الله" في كلمة التوحيد. وكلُّ كلمة توحيد وكلُّ صلاة شريفة على النبي بضاعة لمحبة الله والقرب من رضاه. والسعادة في الدارَين والفتوحات المعنوية كلها يبلُغها العبد بمحبته للنبي ﷺ.

والروحانية في العبادات، والظرافة في المعاملات، والحسن في الأخلاق، والرِّقَّة في القلب، والنور في الوجه، والسلاسة

١٧٢ آل عمران، ٣١.



في اللسان، والسمو في المشاعر، والفراسة في النظر، وجميع الفضائل الأخرى ما هي إلا لمعات تنعكس على القلوب من محبة ذلك النبي الكريم ﷺ.

وما أجمل قول مولانا جلال الدين الرومي:

تعالَ أيها القلب، فالعيد الحقيقي في الوصال مع محمد، لأن نورَ الوجود نورُ جمال ذلك المخلوق المبارك».

لذلك كان اتباع رسول الله ﷺ والاقتداء به وسيلةً لا بد منها لنيل رضا الله ومحبته. أي إن المسلم إذا لم تكن عباداته ومعاملاته موافقة لسُنَّة رسول الله ﷺ، فلن يبلغ الدرجة التي يبتغي الإسلام إيصال المسلم إليها، ولن يبلغَ سعادة الدين والطمأنينة المنشودة، لأن صفة "الإنسان الكامل" التي هي الغاية عرضها اللهُ في صفات رسول الله ﷺ، وجعلها رحمةً للعالَمين والأسوةَ للمؤمنين.

فكيف هي الطاعة التي جعلها الله تعالى شرطًا لمحبته لعباده؟

لا ريب أن هذه الحالة المعنوية السامية تبدأ بمحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام والاقتداء به. فالله تعالى قال في اتباع رسول الله ﷺ الذي يُعَدُّ «الأسوة الحسنة» الوحيدة لنا:



﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[١٧٣]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[١٧٤]

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[١٧٥]

والقرآن الكريم الذي هو كتاب الله المُنزَّل عُرِضَ على الأمة الإسلامية من قلبِ رسول الله ﷺ، ولا ريب أن أسرار القرآن الكريم تظهر على قدر اقتداء المسلم برسول الله ﷺ. فإذا استطعنا أن ندخل مثل الصحابة الكرام ذلك العالَم الروحاني وتشرَّفنا به، وأن نشاهد تجليات حِكَم الله وعلمه وإبداعه، أي إذا استطعنا قراءة كلام الله بالتجليات التي كانت في قلب رسول الله ﷺ، أمسينا كما كانت تلك القلوب الطاهرة في عصر النبي، ونِلنا تلك المحبة والتسليم في جوهر قولهم: «فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله».

---

١٧٣ الحشر، ٧.

١٧٤ محمد، ٣٣.

١٧٥ النساء، ٦٩.



فطوبى للمؤمنين الذين في قلوبهم محبة لله ورسوله ويجعلون هذه المحبة فوق جميع المحبَّات!

إن الاطلاع على الحقيقة المحمدية يكون بالمحبة أكثر من أن يكون بالعقل، وقد كان مولده عليه الصلاة والسلام رحمةً للناس أجمعين.

تذكر المصادر أن ثويبة كانت مِن مرضعات النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت مولاة أبي لهب عدوِّ النبي. فلمَّا بشرت ثويبة أبا لهب بمولد النبي، أعتقها لعصبيته القبليَّة، فكانت هذه الفرحة بمولد النبي انطلاقًا من العصبية القبلية سببًا لتخفيف العذاب، كما روى البخاري: قال عروة:

لما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة، قال له: ماذا لقيت؟

قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة.[176]

وذكر السهيلي أن العباس رضي الله عنه قال:

لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال، فقال: ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفَّف عني كل يوم اثنين.

١٧٦ البخاري، النكاح، ٢١.



➢ محبة الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ

كانت محبة الصحابة لرسول الله ﷺ محبة عظيمة تعجز الكلمات عن وصفها، كانت محبة لا تتحقق إلا بمحبة إلهية وفيوضات ربَّانية.

كان الصحابة الكرام يفيضون حبًّا لرسول الله ﷺ ويجتمعون حوله كالبنيان المرصوص، متعلِّقين به أشدَّ التعلق. وكان من الصحابة الكرام مَن يمشي في الطريق الذي مشى فيه رسول الله، ويقف حيث وقف كي يجد اللذة المعنوية من اقتدائه التام برسول الله ﷺ.

والأمثلةُ للمحبة العظيمة التي كان الصحابة الكرام يكنُّونها لرسول الله ﷺ كثيرة لا تُحصى، منها:

أن السيدة عائشة رضي الله عنها وصفت وجه النبي المنير بمحبة عظيمة قائلة:

ولو سمع أهل مصر أوصاف حدِّه،

لما بذلوا في سوم يوسف من نقد.

لوائم زليخا لو رأين جبينه،

لآثرن بالقطع القلوبَ على الأيد.



ولا ريب أن رسول الله ﷺ بشر و«عبد» كما نذكر في كلمة التوحيد، ولكنه بسيرته العطرة «سيِّد الرسل».

ومن الأمثلة: أنه حينما خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟» فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال: «يا أبا بكر، لو كان شيء لأحببتَ أن يكون بك دوني؟» قال: نعم والذي بعثك بالحق. فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني فلأدخل قبلك، فإن كانت حية أو شيء كانت لي قبلك، قال: «ادخل»، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه، فكلما رأى جحرًا جاء بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ، قال: فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «فأين ثوبك يا أبا بكر؟» فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي ﷺ يده فقال:

«اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة».[177]

---

١٧٧ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، ص٢٢٢-٢٢٣؛ علي القاري، مرقاة المفاتيح، جـ١٠، ص٣٨١-٣٨٢/ ٦٠٣٤؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، جـ١، ص٣٣.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«لما كان يوم أحد خاض أهل المدينة خيضة، وقالوا: قتل محمد حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار محرمة [وهي السميراء بنت قيس]، فاستُقبِلَت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم استقبلت به أولًا، فلما مرت على أحدهم، قالت: من هذا؟ قالوا: أبوك أخوك زوجك ابنك، تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ يقولون: أمامك حتى دُفِعَت إلى رسول الله ﷺ، فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذ سلمت من عطب».[١٧٨]

وعنه رضي الله عنه قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «**وما أعددت للساعة؟**» قال: حُبَّ الله ورسوله، قال: «**فإنك مع مَن أحببت**» قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشدَّ من قول النبي ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم.[١٧٩]

١٧٨ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٦، ص١١٥؛ الواقدي، مغازي، جـ١، ص٢٩٢.

١٧٩ مسلم، البر، ١٦٣/ ٢٦٣٩.



ولا شك أنه على كل مؤمن أن يزيِّن قلبه بحب رسول الله والشوق إليه كي يكون ممن تشملهم البِشارة في هذه الرواية.

ولمَّا توفي رسول الله ﷺ، صارت أحوال الصحابة الكرام كالشموع التي تذوب من شدة حزنهم، ففي يوم الفراق ذلك فاضت القلوب شوقًا إلى النبي وتبدَّلت حال الصحابة. ولم يستطع سيدنا عمر رضي الله عنه أن يصدِّق موت النبي حتى هدَّأه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، لأن قلوب الصحابة الكرام التي لم تكن لتحتمل غياب النبي يومًا أدركت بأنها لن ترى النبي بعد ذلك اليوم في هذه الحياة الفانية. وفي ذلك اليوم رفع عبد الله بن زيد رضي الله عنه يدَيه بعد أن لم يستطع الصبر على هذا الهجر والفراق، فدعا الله قائلًا: «اللهم أعمني حتى لا أرى شيئًا بعده»، فعُمِيَ.[180]

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ذُكِرَ النبيُّ ﷺ بعد وفاته، بكى، وقد رويَ أنه قام على المنبر ثم بكى فقال:

«قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر» ثم بكى.[181]

وكان رضي الله عنه في شوق دائم للنبي ﷺ في حياته، فلمَّا مات عليه الصلاة والسلام، اشتدَّ شوقه إليه.

---

١٨٠ القرطبي، تفسير، جـ٥، ص٢٧١.

١٨١ الترمذي، الدعوات، ١٠٥/ ٣٥٥٨؛ أحمد، جـ١، ص٣.



فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

إن أبا بكر رضي الله عنه لمَّا حضرته الوفاة، قال: أيُّ يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن مِتُّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإن أحبَّ الأيام والليالي إلي أقربها من رسول الله ﷺ.[182]

وكان بعض من الصحابة الكرام يغبطون المرضى في أواخر حياتهم لأنهم سيلقون رسول الله ﷺ، وكانوا يطلبون منهم أن يبلغوا رسول اللهَ ﷺ سلامهم. فعن محمد بن المنكدر قال:

«دخلت على جابر بن عبد الله وهو يموت، فقلتُ: اقرِأ على رسول الله ﷺ السلامَ».[183]

وكان الصحابة الكرام يستمتعون بسماع ذكرياتهم مع رسول الله ﷺ. فعن البراء رضي الله عنه قال: اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحْلًا بثلاثة عشر درهمًا، فقال أبو بكر لعازب: مُرِ البراءَ فليحمل إليَّ رحلي، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة، والمشركون يطلبونكم؟ قال: ارتحلنا من مكة، فأحيينا، أو: سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري

١٨٢ أحمد، جـ١، ص٨.

١٨٣ ابن ماجه، الجنائز، ٤.



هل أرى من ظل فآوي إليه، فإذا صخرة أتيتها فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ، ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحدًا، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟، قال لرجل من قريش، سمَّاه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: فهل أنت حالب لنا؟[١٨٤] قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال: هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب لي كُثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت.[١٨٥]

١٨٤ إن العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم إباحة الرسُل لابن السبيل فضلاً عن الماء، وكانوا يعهدون بذلك إلى رعائهم، ويشترطونه عليهم عند عقد إجارتهم ألا يمنعوا الرسُل، وهو اللبن، من أحد مر بهم، وللحكم في العرف في الشريعة أصول تشهد له. [السهيلي، الروض الأنف، جـ٣، ص٤٣٦] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده، ورجل حلف على سلعة بعد العصر يعني كاذبًا، ورجل بايع إمامًا فإن أعطاه وفى له، وإن لم يعطه لم يف له». [أبو داود، البيوع، ٦٠/ ٣٤٧٤]

١٨٥ البخاري، أصحاب النبي، ٢؛ أحمد، جـ١، ص٢.



وكان من الصحابة الكرام مَن لم يقص شعره بعد أن مسح عليه رسولُ الله ﷺ محبةً له وتعظيمًا لشأنه.[186]

والرواية التالية تبيِّن لنا كيف كانت الصحابيات يربِّين أولادهن على حب رسول الله ﷺ:

عن حذيفة رضي الله عنه قال:

سألتني أمي متى عهدك؟ تعني بالنبي ﷺ، فقلت: ما لي به عهد منذ كذا وكذا، فنالت مني، فقلت لها: دعيني آتي النبي ﷺ فأصلِّي معه المغرب، وأسأله أن يستغفر لي ولك.[187]

وأما مؤذن النبي بلال رضي الله عنه فكانت أحواله بعد وفاة النبي ليست كمثل غيره، إذ ضاقت عليه المدينة، فطلب الإذن من خليفة رسول الله أبي بكر كي يجاهد، فقال أبو بكر له: أنشدك الله يا بلال، وحرمتي وحقي، فقد كبرتُ واقترب أجلي. فأقام بلال مع أبي بكر حتى توفي أبو بكر، فلما توفي جاء بلال إلى عمر رضي الله عنه فقال له كما قال لأبي بكر، فرد عليه كما رد أبو بكر، فأبى. وقيل إنه لما قال له عمر، ليقيم عنده، فأبى عليه: ما يمنعك أن تؤذن؟ فقال: إني أذنت لرسول الله ﷺ حتى قبض، ثم أذنت لأبي بكر

١٨٦ انظر: أبو داود، الصلاة، ٢٨/ ٥٠١.

١٨٧ الترمذي، المناقب، ٣٠/ ٣٧٨١؛ أحمد، جـ٥، ص٣٩١-٣٩٢.

حتى قبض، لأنه كان ولي نعمتي، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا بلال، ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله، فخرج إلى الشام مجاهدًا، وإنه أذَّنَ لعمر بن الخطاب لما دخل الشام مرة واحدة، فلم ير باكيًا أكثر من ذلك اليوم.

ثم إن بلالًا رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ ما آن لك أن تزورنا؟» فانتبه حزينًا، فركب إلى المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ وجعل يبكي عنده ويتمرع عليه، فأقبل الحسن والحسين، فجعل يقبلهما ويضمهما، فقالا له: نشتهي أن تؤذن في السحر، فعلَا سطح المسجد، فلما قال: «الله أكبر، الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» زادت رجتها، فلما قال: «أشهد أن محمدًا رسول الله». خرج النساء من خدورهن، فما رُئِيَ يوم أكثر باكيًا وباكية من ذلك اليوم.[188]

ولما احتُضِرَ بلال رضي الله عنه قال:

غدًا نلقى الأحِبَّة... محمدًا وحزبه.

فقالت امرأته: واويلاه. فقال: وافرحاه.

وتوفي رضي الله عنه في دمشق وهو ابن بضع وستين سنة.[189]

---

١٨٨ ابن الأثير، أسد الغابة، ١،٢٤٤-٢٤٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١، ٣٥٧-٣٥٨.

١٨٩ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١، ٣٥٩.

وتَظهر محبةُ الصحابة الكرام العظيمة لرسول الله ﷺ في رواية الأحاديث أيضًا، فقد كانوا يضطربون وتصفر وجوههم حين يروون حديثًا عن رسول الله ﷺ خشيةً من الخطأ في الرواية. فعن عمرو بن ميمون، قال: ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه... فلما كان ذات عشية قال: قال رسول الله ﷺ، قال: فنكس قال: «فنظرت إليه، فهو قائم مُحلَّلة، أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه» قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريبًا من ذلك، أو شبيهًا بذلك.[190]

ذلك أن نبي الله ﷺ كان نبيًّا عظيمًا حنَّ الجذع إليه، وسقى أمته العطشى من الماء الذي نبع من بين أصابعه معجزةً من الله له، وسمع الصحابةُ تسبيح اللقيمات وهم على مائدته.[191]

فهو عليه الصلاة والسلام إمام المحشر يوم القيامة...

وهو شفيع المذنبين...وهو الذي سيقول: «أمتي أمتي»...

وهو الذي يحمل بيده لواء الحمد...

وهو إمام الرسل أجمعين...

وهو الذي سيفتح باب الجنة...صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

---

١٩٠ ابن ماجه، افتتاح الكتاب، ٣/ ٢٣.

١٩١ انظر: البخاري، المناقب، ٢٥.



➢ ينبوع المحبة بعد الصحابة الكرام

ظل ينبوع المحبة لرسول الله ﷺ يفيض بعد عصر الصحابة الكرام، ذلك أن السعادة والسلامة في الدارَين منوطتان بمحبته عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكرَ رسول الله ﷺ استمرار محبته حتى قيام الساعة في قوله:

«مِن أشد أمتي لي حبًّا ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله»[١٩٢]

فاللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، آمين!

والمثال التالي فيه عبر عظيمة تظهِر أن محبة رسول الله ﷺ تُنسي كلَّ الهموم الدنيوية:

فعن ابن المبارك قال:

كنت عند مالك وهو يحدث فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له لقد رأيت منك عجبًا، قال: نعم إنما صبرت إجلالًا لحديث رسول الله ﷺ.[١٩٣]

١٩٢ مسلم، الجنة، ١٢/ ٢٨٣٢؛ الحاكم، المستدرك، جـ٤، ٩٥/ ٦٩٩١.

١٩٣ المناوي، فيض القدير، جـ٣، ص٢٥٣؛ السيوطي، مفتاح الجنة، ص٥٢.



ولم يركب الإمام مالك رحمه الله دابةً في المدينة المنورة احترامًا للتراب الذي دعس عليه رسول الله ﷺ، ولم يلبس نعلًا فيها. وكان إذا جاءه ضيف يسأله عن حديث شريف توضَّأ، ولبسَ عمامته، وتطيَّبَ، وجلَسَ في مكان مرتفع ثم استقبلَ ضيفه، فكان يُعِدُّ نفسه لروحانية رسول الله ﷺ، ويحرص على الأدب لأنه ينقل كلامه المبارك عليه الصلاة والسلام. ولمَّا كان إمامًا في الروضة الشريفة كان يخفض صوته في حديثه، وذات مرة جاء الخليفة أبو جعفر المنصور وتكلم بصوت عالٍ هناك، فقال له الإمام مالك:

«يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدَّبَ قومًا فقال:

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾»[١٩٤]

أما سلطان العالَم السلطان العثماني ياووز سليم خان، فقد رأى الوليَّ الوارثَ لرسول الله ﷺ أعزَّ من نِعَم الدنيا كلها إذ قال:

مُلك العالَم صراع لا طائل فيه

وخدمة وليٍّ خير من الكون وما فيه.

١٩٤ الحجرات، ٢.

فبيَّن للناس قيمة أن يكون المرء قريبًا من وليِّ الله ووارثِ أنبيائه.

أما الشاعر فضولي[195] فيعبِّر عن فيوضات قلبه المليء بالشوق إليه عليه الصلاة والسلام في قصيدته المشهورة «قصيدة الماء» بقوله:

يا عيني لا تذرفي الدمعَ بالنيران الملتهبة في قلبي
إذ لا ينفع الماء تلك النار الملتهبة بحرارة العشق
أَألوانُ هذه القبة السماوية التي تدور زرقاء؟
أم أن الماء الذي ينزل من عيني قد أحاط بها
وليدَعْ ذلك الفلاح عنه سقاية بستان وروده
فلو سقى ألف وردة ما كانت أجمل من وجهه
ويا أصحابي، إن متُّ متمنِّيًا تقبيل يده
فاصنعوا من تراب قبري كوبًا تكرمون حبيبي به
والماء يجول بين الحجارة طوال عمره
علَّه يصل إلى تراب شرَّفته قدماه

١٩٥ محمد بن سليمان [١٤٨٣- ١٥٥٦م] شاعر تركي عُرِفَ بلقب فضولي البغدادي، يعد من أشهر الشعراء العثمانيين، وأحد رواد المدرسة الكلاسيكية للأدب التركي.



رسمَ السلطان أحمد خان الأول على عمامته صورة «القدم الشريف» لرسول الله ﷺ لعلَّه يستفيض منها، وكان يقول:

ما يضرُّني حمل قدمَيه الطاهرتين تاجًا على رأسي

وما يضرُّني أن أمسحَ وجهي بعطر بستان نبوَّته

ويعبِّر الشيخ عزيز محمود هُدائي عن هذه المحبة بقوله:

قدومك رحمة ولذة وصفاء يا رسول الله

ظهورك بلسمٌ لهموم العشَّاق يا رسول الله

فاشفع لهُدائي ظاهرًا و باطنًا

فهو سائل يقف ببابك يا رسول الله

وقد حزن الشاعر العثماني يوسف نابي كثيرًا لما رأى باشا يمدُّ قدميه إلى جهة الروضة الشريفة بغفلة أثناء اقتراب قافلة الحج من المدينة المنورة، وعبَّر عن تعظيمه لشأن رسول الله ﷺ في حزن وأسف في الأبيات التالية:

حذارِ من ترك الأدب في بلد المحبوب

وموضع نظر الله، ومقام نبيِّه المصطفى

يا نابي، ادخل هذه الديار بأدب

فهو مطاف الملائكة ومقامٌ يُقبِّلُ أعتابَه الأنبياءُ



ولنذكر هنا مثالًا لهذه المحبة من أحد كبار شعراء القرن الماضي وهو الشاعر يامان دادا الذي كان نصرانيًّا، فلمَّا بلغ لذة إدراك الحقيقة المحمدية، صار مؤمنًا تائبًا متضرِّعًا عاشقًا للنبي الكريم، يقول شاعرنا:

لن أشعر بالألم ولو مكثتُ عطشانًا وخرجت روحي في المفازات الملتهبة

ولن أشعر بالماء ولو كنت في أعماق البحار، فالبراكين في أحشائي تنفجر

ولن أشعر بلهيب العشق ولو نزل عليَّ من السموات

فأَدخِل السرور في قلبي بجمالك، فإني المحترق شوقًا يا رسول الله!.

ما أعظم أن تغلق العين بعشقك، وتُفدَى الروح في سبيلك

أفلا يكون لي نصيب يا سلطاني أن تخرج روحي في حرمك؟

عندما ينطفئ نور عيناي يسهل خروج روحي في حضرتك

فأَدخِل السرور في قلبي بجمالك، فإني المحترق شوقًا يا رسول الله !.

طأطأت رأسي ذليلًا وعندك البلسم لهمومي

وسِرتُ وشفتاي محترقتان بذِكركِ

فالطُفْ بقطميرك إن كان مُرادُه قلبك

وأدخِل السرور في قلبي بجمالك، فإني المحترق شوقًا يا رسول الله!.



ليس إنسان أعظم من رسول الله ﷺ، فمَن اقتدى به واتَّبعه صار كالنجم في سماء الإسلام، وفاز في الدنيا ودار المقام. فالصحابة الكرام وأهل الله والصالحون لكل منهم شأن عظيم على قدر اقتدائهم برسول الله ﷺ.

ولنا أن نتساءل:

أين نحن من عبد الله بن زيد، وبلال الحبشي، والإمام النووي وأمثالهم في اقتدائهم برسول الله ﷺ؟ وعلينا أن نقيس مقدار محبتنا لرسول الله في إطار محبته التي استمرت من عهد الصحابة الكرام، ونرى كم نعيش في حياتنا عيشًا يليق بوصفنا من أمته، وأن نحيي قلوبنا قبل فوات الأوان.

ولا شك أن أحوال عظماء الإسلام موازين لأهل القلوب، ولكن الذي يعلي شأنهم في قلوب المؤمنين إلى يوم القيامة إنما هو محبتهم لرسول الله وتعلقهم به واتباعهم إياه.

إننا نعلم بأن العشق والحب كالتيار يسري بين القلبَين. فإذا أراد الإنسان أن يكون مؤمنًا كما ينبغي، فعليه أن يُعِدَّ قلبه. لكن إعداد القلب بات عسيرًا في ظلِّ ما يعيشه الإنسان في هذا العصر، إذ ضاعت القيم وغابت في دوامة النفسانيات. ولمَّا كانت الوجهة إلى النفسانيات والأمور الدنيوية، ما عاد الإنسان يستطيع أن يشبع



جوع قلبه. ولا يستطيع القلب أن ينتقل من العشق المجازي إلى العشق الحقيقي إلا بتربيته وتطهيره حتى ينضج. والناس في أيامنا بحاجة إلى هذا العشق، وكل الجرائم والظلم والفساد إنما سببه انعدام هذا العشق.

إن عظمة الحب الحقيقي تُقَاس بالتضحية ومواجهة الصعاب من أجل الحبيب. والذي يُحِبُّ بصدق يضحي بنفسه عند الضرورة من غير أن يشعر بشعور التضحية، بل يكون في راحة وكأنه يدفع دَينًا عليه. أما الذي لم يذق طعم الحب الحقيقي فهو لم يسِر في طريق بلوغ الكمال، وأضاع قلبه بالعيش تحت سلطان نفسه وأهوائها.

إن حمل الأمانة التي أبت الجبال أن تحملها ميزةٌ أكرم اللهُ بها الإنسان. والشرط لنيل الإنسان هذه الميزة كما ينبغي وصوله إلى العشق الحقيقي، لأن الصراع في روح الإنسان لا ينتهي إلا بالذوبان في العشق الحقيقي. والإنسان الذي يسير نحو الكمال يطهِّر روحه من الميول الحيوانية بالاقتداء بأسوة حسنة فيجد معنى الحياة والغاية من الخلق.

والله تعالى يذكِّر الإنسان في كتابه الكريم بالجوهر السامي في داخله حين يقول: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[196] فإذا استطاع

١٩٦ الحجر، ٢٩؛ ص، ٧٢.



هذا الجوهر أن يوصل المؤمن إلى الكمال بالمحبة والعشق، بدأ القلب يرتقي في عالَم الأسرار الربَّانية، فتظهر أمامه تلك الأسرار الربَّانية وحقائق الأشياء، وأسرار الإنسان والكون، ويغدو قلب العبد مكانًا لتجليات القلب السليم.

وعندما يصل العبد إلى هذه الدرجة، تُرفَع الحجُب بينه وبين خالقه، ويدرك سِرَّ قولهم: «موتوا قبل أن تموتوا»، فلا يركض وراء الدنيا وهواها ولا يعبأ بجمالها الخدَّاع، فتصل الروح إلى لذة نيل رضا الله سبحانه وتعالى.

أما الذين لم يذوقوا طعم الحب الحقيقي، فهم لم يخرجوا عن إطار الحيوانية في نفس الإنسان ولا ارتقوا إلى درجة الملائكية.

إن الرحمة التي ستنقذ البشرية من الذل والهوان وتحملها إلى السعادة ما هي إلا رسول الله الذي جُعِل أسوة حسنة للناس أجمعين. وطريق السعادة الحقيقي هو معرفة الحب الحقيقي منه والفناء فيه والسير على خطاه. فهو عليه الصلاة والسلام نور الكون، ولطف عظيم من الله، ومرشد للعبد نحو خالقه. وهو الذي كان أعظم أسوة حسنة في العبودية لله بأحواله السامية التي تعجز الكلمات عن وصفها. فهو رحمة للعالمين، والقلوب التي خضعت له تفيض حبًّا له في الدنيا وتتوق ليوم الوصال به.



وهذه أحوال أهل الله الذين تخلصوا من أسر الجسد، فما عادوا يجدون السرور إلا بالخالد، فأي سعادة فانية وأي سرور مؤقت في الدنيا يرضيهم؟ ذلك أن الطريق إلى السعادة يمر من توجيه الحب إلى حيث ينبغي. وقد عبَّر مولانا جلال الدين الرومي عن مصدر سعادته في قوله:

«أنا عبد للقرآن ما دامت نفسي بين جنبي. أنا غبار قدم سيدنا محمد، فمَن نقلَ عني غير هذا، فأنا بريء منه».

والعبد لا يكون غبار قدم سيدنا محمد ﷺ إلا حينما يعيش حياته محبًّا له متَّبعًا سنته في كل شأن.

والطريق الآخر لاتباع رسول الله كما ينبغي والإحساس بروحانيته هو المداومة على الصلوات الشريفة التي تعزز من رابطة القلب به وملءُ القلب بمحبته.



الصلوات الشريفة

أقسمَ الله سبحانه وتعالى بحياة النبي ﷺ في كتابه العزيز، وذكرَ اسمه مع اسمه، وجعلَ الإيمان بنبوته شرطًا للإيمان، ونهى عن رفع الصوت في حضرته، وعن ندائه كنداء غيره. وذكَر بأنه سبحانه وتعالى وملائكته يصلون على النبي، وأمر أمة الإسلام بالصلاة عليه إذ قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١٩٧]

عن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قال:

كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

«**يا أيها الناس، اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه**»،

قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «**ما شئت**». قلت: الربع، قال: «**ما شئت فإن زدت**

١٩٧ الأحزاب، ٥٦.



فهو خير لك»، قلت: النصف، قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»، قلت: فالثلثين، قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال:

«**إذًا تُكفَى همك، ويُغفَر لك ذنبك**»[198]

من أجل ذلك جعل محبُّو النبي ﷺ من الصلاة والسلام عليه وِردًا لهم، لأن الصلاة عليه وسيلة لزيادة المحبة في قلوبهم. ولا شك أن اتباعه عليه الصلاة والسلام لا يكون إلا بفهم حقيقة القرآن والسنة، وهذا الفهم لا يكون إلا بالاقتداء بأخلاقه عليه الصلاة والسلام.

وقد عجز الناس عن وصفه عليه الصلاة والسلام كما ينبغي، وما أدركوا أخلاقه السامية كما ينبغي، فجعل أهل الله وأولياؤه العزة والعظمة في السؤال عند بابه.

ومن أدب الدعاء أن يُبدَأ بحمد الله والصلاة على رسوله، وينتهي بهما، لأن المسلم يعتقد بأن الصلاة على النبي دعاءٌ لا يرده الله تعالى، ومن هنا كان تزيين الدعاء بالصلاة والسلام عليه في بدئه وختمه.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

---

١٩٨ الترمذي، القيامة، ٢٣/ ٢٤٥٧.



«إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ»[199]

سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو في صلاته فلم يصلِّ على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**عجل هذا**»، ثم دعاه فقال له أو لغيره:

«إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصلِّ على النبي ﷺ، ثم ليدعُ بعد بما شاء».[200]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هُزِمَت يهود، فعادت يهود بهذا الدعاء وقالوا: إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا تنصرنا عليهم. قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا، فأنزل الله تعالى:

﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[201, 202]

---

١٩٩ الترمذي، الوتر، ٢١/ ٤٨٦.

٢٠٠ الترمذي، الدعوات، ٦٤/ ٣٤٧٧.

٢٠١ البقرة، ٨٩.

٢٠٢ القرطبي، تفسير، جـ٢، ص٢٧؛ الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص٣١.



فنرى هنا أن أهل الكتاب من اليهود قد انتفعت ببركة المبعوث رحمة للعالمين.

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبًا نبيَّه محمدًا ﷺ:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[٢٠٣]

وهذه الآية نزلت في المشركين، فإذا كان للمشركين هذا الأمر لأنهم كانوا في بلد رسول الله، فمَن يدري كم للمؤمنين من نِعَم إلهية؟ وإذا لم يكتفِ أولئك المؤمنون بالإيمان بنبوته عليه الصلاة والسلام، بل فاضت قلوبهم حبًّا له، فهنا تعجز الكلمات عن التعبير. فمهما بلغ المؤمن درجة من درجات حب رسول الله صل يالله عليه وسلم، ارتقى في درجة الطمأنينة في الدنيا وعلا مقامه في الآخرة.

فلا ننسى الصلاة والسلام عليه، فنحن محتاجون إلى شفاعته يوم لا يشفع شفيع إلا بإذن الله تعالى!

٢٠٣ الأنفال، ٣٣.



الفصل الرابع

❀ حاجتنا الكبرى: قدوة نقتدي بها

❀ كم نحبه عليه الصلاة والسلام؟

➢ التربية الإلهية تجعل الإنسان إنسانًا

لقد سخَّر الله سبحانه وتعالى ما في السماوات والأرض لخدمة الإنسان،[٢٠٤] ولكنه لم يتركه سُدى لا يُسأَل عن شيء.[٢٠٥] أي إن الله سبحانه وتعالى جعل الكون والإنسان على قوانينه، فيعيش الإنسان في امتحان الدنيا في توازن بين حرية حلوة ومسؤولية عظيمة. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾[٢٠٦]

وهذا يعني أنه على الإنسان أن يعيش وفقًا للميزان الإلهي في الكون، فهذا الكون العظيم يسير في نظام دقيق، وكذلك على الإنسان ألا يحيد عن الصراط المستقيم البتة. فأهل الله هم الذين يعيشون حياتهم في هذا التوازن، فطوبى لهم في الدنيا والآخرة. وأما الذين يعيشون وفقًا لأهواء أنفسهم وتقلُّبات أفكارهم فهم

---

٢٠٤ انظر: الجاثية، ١٣.

٢٠٥ انظر: القيامة، ٣٦.

٢٠٦ الرحمن، ٧-٨.



الغافلون الذين لم يدركوا سرَّ مجيئهم إلى هذه الدنيا، وهم الذين لم يعيشوا وفقًا للنظام الدقيق والإبداع العظيم للخالق في هذا الكون. فهم يغترون بالعيش في هذه الدنيا مع الأسف ولهم الخسران الكبير في الآخرة.

وإيضاح هذه المسألة مكنون في حقيقة الإنسان. ولا يخفى على أحد أن الإنسان طبعًا ميَّالٌ للخير والشر في آن واحد لأنه خُلِق في هذه الدنيا امتحانًا له، فيعيش حياته في صراع بين الخير والشر ظاهرًا كان ذلك أم خفيًّا، لأن الخير والشر يريدان أن يسودا في الإنسان، أي إن للخير قوة في أنفسنا مثل قوة الشر (النفس التي لم تخضع لتربية). ولن تكفي الإنسانَ ملَكَاتُه مثل العقل، والإدراك، والفهم، والإرادة وحدها كي ينتصر الخير، ولو كانت كافية، لما أيَّد الله سيدنا آدم الذي كان أول البشر بالنبوة، ولمَّا علمه الحقائق التي تجعل الإنسان سعيدًا في الدارَين، لذلك يوجِّه الله سبحانه وتعالى الإنسانَ دائمًا إلى الحق والخير بالوحي الإلهي وإرسال الأنبياء، وأنزل الكتب التي تقوِّي العقل والقلب، وجعل عباده يخضعون لتربية معنوية.

والحق أن العقل كالسيف ذو حدَّين، فبه يرتكب الإنسان الفظائع، وبه يأتي الأعمال الصالحة. وبالعقل يصل الإنسان إلى درجة "أحسن تقويم"، وبه يهوي إلى درجة "بل هم أضل"، أي



أضل من الحيوانات في الإدراك. فلا مناص من وضع العقل تحت نظام، وهذا النظام هو التربية كما جاء في الكتاب والسُّنَّة. فإذا ما خضع العقل لهذه التربية، فسيحمل الإنسانَ إلى السلامة، وإلا فسيحمله إلى الهلاك.

إن صفحات التاريخ مليئة بذكر الظالمين الذين وصلوا إلى ذروة العقل، لكنهم لم يشعروا بأدنى تأنيب للضمير من أفعالهم الشنيعة، لأن الظلم الذي ارتكبوه كانوا يرونه نابعًا عن عقلانية، فهولاكو الذي اجتاح بغداد، وأغرق في نهر دجلة ٤٠٠ ألف إنسان بريء، لم يشعر بأي تأنيب للضمير. أما في الجاهلية فقد كان السيد يخنق عبده، ولا يؤنِّبه ضميره، ولا يشعر حتى بأدنى شعور بالندامة، فذبح العبد أو قطع الحطب كان من منظورهم العقلي سواءً، بل كانوا يرون هذا الفعل حقًّا طبيعيًّا مشروعًا لهم.

وهذا كلُّه يبيِّن لنا أن الإنسان مخلوق يحتاج إلى الإرشاد والتربية والتوجيه إذ فيه رغبات وميول إيجابية وسلبية، ولكن ينبغي أن يكون الإرشاد وفقًا لفطرته، وهذا لا يكون إلا بتربية الوحي، أي بما بلَّغه الأنبياء الكرام. وإنْ كان الإرشاد لا يوافق فطرة الإنسان، فقد يكون سببًا لدفعه إلى الشر والسوء.



إن الصفة الحاكمة في فطرة الإنسان تسعى لإزالة الصفة المناقضة لها، فإذا كان الخير حاكمًا، خبت ذكر الشر، وإذا كان الشر حاكمًا، سعى لخنق الخير، فيستمر الصراع الداخلي في الإنسان طوال حياته. من أجل ذلك أكرم الله تعالى البشر بالأنبياء والأولياء منارات للهداية، فاستطاع أولئك الذين تربوا على أيديهم أن يرتقوا بأحوالهم، فصار مثلًا إنسانُ الجاهلية الذي كان يئد ابنته عظيمَ الشأن في تاريخ البشر بإرشاد النبي ﷺ.

والإنسان يصل إلى مرضاة ربه ويغدو أهلًا لثنائه إذا اتبع ما جاء به الأنبياء، وإلا أخفق في الامتحان الإلهي له فصار إلى أسفل سافلين. فالإنسان خُلِق في هذه الدنيا من أجل هذَين الهدفَين، فإما أن يعلو ويرتقي أو يهبط ويهلك. والإنسان يوجِّه ميوله الإيجابية والسلبية نحو هدف من الهدفَين. وهذا التوجيه يكون وفقًا لنتيجة الصراع بين النفس والروح، ولكن الإنسان يخضع لتأثيرات كثيرة في حياته، فإنْ كان في بستان من الورود، شمَّ أطيب الريح، وإنْ كان في ضدها، شمَّ أسوءها. ولا شك أن تأثير مَن حوله يظهر عليه، لذلك يحتاج إلى الإرشاد والتربية والتزكية.

والحق أن سوء حال الإنسان الذي يضيِّع حياته الفانية نابع من التناقضات في ظاهره وباطنه، وأساس هذه التناقضات وجود



أسمى الفضائل التي تقرِّب المرء إلى مرضاة ربه مع أرذل الصفات الحيوانية التي تبعده عن الغاية من خلقه جنبًا إلى جنب.

لذلك تشبه قلوب الذين لم يخضعوا لتربية معنوية ولم يذوقوا الطمأنينة غابةً تأويها حيوانات كثيرة. ففي كل واحد منهم تختبئ صفة حيوان، فمنهم الماكر كالثعلب، ومنهم الوحشي كالضبع، ومنهم الحريص على جمع المال مثل النمل، ومنهم السام كالحية، ومنهم الذي يعض إذا لمسته، ومنهم الذي يمص الدم مثل الدود، ومنهم الذي يضحك أمام أحدهم ويحفر له من ورائه.

والإنسان الذي لم ينجُ من تسلُّط نفسه عليه بالتربية المعنوية، فلم يكن له طبع سليم يعيش حياته بطباع سفيهة، فقد تسود فيه صفة حيوانية أو بضع صفات. وليس من العسير إدراك هذه الصفات الحيوانية إذ ينعكس باطنه على ظاهره. وما أفعاله إلا كالمرآة الصادقة التي تعكس نيَّاته.

أليست الشيوعية التي أُقيمَت على جماجم مئتي مليون إنسان دليلًا على بربريةَ قلوب أصحابها؟ أليست الأهرامات التي كانت سببًا لموت آلاف من البشر من أجل فرعون واحد رموزًا للظلم إلى يومنا هذا؟ فهذه وتلك ما زالت آثارًا خلَّفها التاريخ يقف أمامها الغافلون بإعجاب، ولكن إنْ نظرنا إليها من منظار الحق



والحقيقة، ألن تبدو لنا مثل لوحات ترتعد منها فرائص أشد الحيوانات وحشية؟

وكلُّ ما ذكرناه يُرينا أن المجتمع إذا حكَمه أناس فيهم صفات الضفدع، بات المجتمع مستنقعًا، وإذا حكمه أناس فيهم صفات الثعابين، تسمَّم أفراد المجتمع، وسادت الفوضى والاضطراب بينهم. وأما إذا حكمَه أناس طبعهم ليِّن لين الأزهار والورود، أصبح المجتمع كبستان من الورود يجد فيه أفراده السرور والطمأنينة.

من أجل ذلك كانت التربية المعنوية على الكتاب والسُّنَّة شرطًا، فمَن نأى عن هذه التربية، لم يأمن من ارتكاب الفظائع في أي لحظة وإنْ بدت منه أعمال حسنة، لأن كلَّ جميل ناله الإنسان بغير تربية ربَّانية مؤقت. والميول السيئة تظهر لدى المحرومين من التربية المعنوية لا سيما في أوقات العسر واشتداد الرغبات النفسانية، فالنفس التي لم تخضع للتربية كالقطة الحريصة على الفأر، فالقطة إنْ رأت فأرًا وهي تأكل ألذ الطعام، تركت لذيذ الطعام ولحقت الفأر. والإنسان الذي لم يخضع للتربية الربَّانية تأمره نفسه باتباع لذات الدنيا الفانية التي تُعرَض له وإن كان في فضل ونعمة. وإذا أمعنا النظر في سيرة فرعون ونمرود وأمثالهما، سنرى أن ظلمهم الشديد لم يكن إلا لأهواء صغيرة فانية.



إن التربية الإلهية تنهى عن أكل حقوق العباد، فما بالكم بقتل الإنسان ظلمًا؟ لم يقطع النبي ﷺ غصنًا رطبًا. ولمَّا كان في طريقه لفتح مكة، غيَّرَ طريق الجيش كله حتى لا تُفزَع أنثى كلب كانت ترضع جِراءها. وأسِف حين رأى بيت نمل يحترق.

إن الذي يسفك الدم إنسان والذي يتبرَّع بدمه لمحتاج إنسان أيضًا. والناس على اختلاف طبائعهم يعيشون معًا في مكان واحد لحكمة عظيمة. وحال الطيب بين الأشرار كحال الغزال في حظيرة حيوانات سيئة الطبع. والبخيل أحيانًا يعيش بجانب الكريم، والأحمق بجانب العالِم، والرؤوف بجانب الظالم. فالبخيل جبان ينأى عن خدمة غيره، أما الكريم فمتواضع يحب خدمة الآخرين. والأحمق لا يفهم العالِم، والظالم يظن نفسه عادلًا ويستعمل القوة لضبط مَن حوله. أي إن الرحماء يعيشون مع الذين طباعهم كطباع الضباع، يعتقد أحدهم أن السعادة في معرفة الله وعبادته ويظنها الآخر في العيش كما تعيش الحيوانات فلا نجد في حياته إلا الحرص على الطعام والشراب والمقام وإشباع الشهوات.

إن العيش بين أناس مختلفي الطباع والأهواء امتحان عسير، ولكن لا مفر للإنسان من الخضوع لهذا الامتحان، فالغاية الأساسية لعيش الإنسان في هذه الدنيا اجتياز هذا الامتحان



وبلوغ مرضاة الله تعالى، والسبيل إلى ذلك تخليه عن الصفات السيئة وتحليه بالصفات الحميدة، أي بعيشه كما يليق بشرف الإنسان وكرامته.

خُلِق الإنسان من جسد وروح، والجسد من التراب والروح سماوية، فالروح تعود إلى خالقها والجسد إلى التراب. والإنسان يحمل صفات المخلوقات الأخرى من حيث جسده، لذلك يحتاج إلى تربية معنوية تزكِّي نفسه وتقوِّي روحه، وإلا لم ينجُ من الوقوع بين مطرقة الشيطان من الخارج وسندان نفسه بأهوائها وغوائلها.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢٠٧]

ويوضِّح مولانا جلال الدين الرومي الفجور والتقوى بالتشبيه التالي:

«أيها السالك في الطريق إلى الحق، إنْ كنتَ تريد أن تعلم الحقيقة، فاعلم أن موسى وفرعون لم يمُتَا، بل هما حيَّان فيك، متخفِّيان في وجودك، ما فتئا يتصارعان في قلبك! فابحث عن هذَين العدوَّين في نفسك!»

٢٠٧ الشمس، ٧-١٠.



ويقول أيضًا:

«لا تهتمن بتسمين بدنك! فمآله في النهاية إلى التراب، إنما الأصل أن تربِّي قلبك! فالقلب هو منْ سيرتقي، ويصل إلى مراتب الشرف وينال حُسن المآب».

«قدِّم القليل من الدسم والعسل لبدنك؛ لأن منْ يبالغ في تسمينه يقع في الرغبات النفسانية، ويصل إلى الدناءة في نهاية المطاف».

«ولكن قدِّم لروحك الغذاءَ المعنوي! وقدِّم لها الفكر الناضج، والفهم الدقيق، والغذاء الروحاني، كي تبقى قوية أينما حلَّت».

إن مَثل النفس التي لم تخضع لتربية كمثل الشجرة التي فسدت جذورها، فظهرت علامات فسادها على أغصانها وأوراقها وثمرها. وإذا أصاب القلبَ مرضٌ كالحقد والحسد والكبر وغيرها مما يصعب علاجها، بدا على حركات الجسد فأضرَّ بها. فإذا أراد العبد البرء من هذه الخصال، فينبغي له أولًا أن يسلك الطريق الذي ارتضاه الله تعالى.

إن الأساس في عيش الإنسان كما يرضى الله تعالى أمران: الاقتداء والتقليد.



➢ الاقتداء والتقليد

إن الإنسان يحتاج إلى قدوة في كل شأن منذ ولادته، لأنه يبني أفكاره ومعتقداته ويؤسس للغته ودينه وأخلاقه وعاداته بناءً على ما يراه من القدوة أمامه والانطباعات منه، وهذا ينطبق على الناس إلا قليلًا. فالطفل مثلًا يتكلم باللغة التي يتكلم بها والداه، ثم يتعلم لغة ثانية وثالثة ورابعة ممَّن يقتدي بهم. أي إن تعليم الإنسان ليس إلا جعله يقلِّد الأمور الحسنة أو السيئة بميله الفطري إلى التقليد، إلى جانب مؤثرات كثيرة أخرى. وبذلك يتأثر الإنسان بوالدَيه اللذَين تربَّا على أيديهما وأسرته ومحيطه الذي يعيش فيه، وبهذا التقليد ينضم إلى المجتمع إنسانًا حسنًا أو سيئًا.

وإذا كان من اليسير تعلم الإنسان لغته والأمور الظاهرة الأخرى، فقد لا يكون الأمر كذلك في موضوع الدين والأخلاق والأحوال المعنوية، لأن العوائق مثل الشيطان والنفس التي وضعها الله في الإنسان امتحانًا له تبعده عن مثل هذه الفضائل.

إن الإنسان يُعجَب بمَن يقتدي به- في الحسن والسوء- لميله إلى التقليد والاقتداء في فطرته، فيسعى إلى اتباع قدوته على قدر طاقته، فإذا لم يكن الأنبياء وأهلُ الله المرشدينَ للناس في دينهم



ودنياهم، لم ينجوا من الانجرار إلى الغفلة والضلال والعصيان، فتبيت سعادتهم الأبدية حسرة وندامة. وليس اليوم إسرف أشد ولا إفلاس أعظم من حال الذين يلقون بأنفسهم إلى التهكلة في سبيل الاقتداء بالغارقين في السفاهة والدناءة وبلوغ درجتهم، وقد وصف مولانا جلال الدين الرومي حال هؤلاء إذ قال: «لا عجب في هروب الحمل من الذئب، فالذئب عدو الحمل وصيَّاده، لكن العجب بل كل العجب في ميل الحمل إلى الذئب».

من أجل ذلك كان الناس في حاجة دائمًا إلى مرشدين ذوي قلوب رقيقة وطباع ليِّنة.

➢ عظمة الأنبياء

إن إعجاب الإنسان بغيره والسعي لتقليده ميلٌ فطريٌّ، لذلك كان إيجاد الأسوة الحسنة واتباعها أمرًا عظيمًا، وكان من لطف الله تعالى ورحمته بعباده أنه لم يكتفِ بإرسال الكتب السماوية بل بعث الأنبياء والرسل قدوات حيَّة للناس بأوصافهم الكاملة، وقد بلغوا ذروة الكمال في الدين والعلم والأخلاق، حتى إن كل نبي منهم برز بصفة ميَّزته.

فإذا كان هناك عدل في مكان من الأرض، وإذا كانت هناك رحمة ورأفة بين قلوب الناس، أو كان الأغنياء في مجتمع يرأفون



بحال الفقراء ويعينونهم، ويساند الأقوياء فيهم الضعفاء، ويرعى الأثرياء اليتامى والأرامل، فلا ريب أن هذه الفضائل قد ورثوها من الأنبياء ومَن تبعوهم بإحسان.

لقد جعل سيدنا آدم وحواء من مكان الكعبة اليوم أولَ معبد لهما على الأرض كي يعيشا طمأنينة الدِّين، ثم تفرَّق أبناؤهما في الأرض، وبعث الله الأنبياء يذكِّرون الناس بدين الله. وكان كلما حرَّف أناس دين الله، بعث الله الأنبياء والرسل يهدون الناس ويحيون الدين، فنجا الناس على مر التاريخ من أشد الظروف بلطف الله تعالى ووصلوا إلى آخر الزمان.

ومرَّت الأيام والسنون حتى بُعِثَ النبي محمد ﷺ وبلغ الدين أوجه حيث وُلِد أول مرة، فما كان لإنسان أن يتخيل كمالاً بعد كمال الدين الذي جاء به محمد، وطويَت مرحلة إحياء الدين بإرسال الأنبياء، إذ ارتضى الله تعالى للناس دين الإسلام.

ولنا أن نقول هنا إن رسول الله ﷺ بسيرته العطِرة خير قدوة للميل إلى التقليد الموجود في فطرة الإنسان. ولا شك أن التوفيق في الاقتداء بهذا النبي الكريم لا يكون إلا بالإعجاب به ومحبته حبًّا عظيمًا.



➢ استعمال القلب والعقل

خلقَ الله سبحانه وتعالى الإنسانَ في أحسن تقويم وشرَّفه من بين مخلوقاته، وسخَّر له ما في السماوات والأرض، وفي ذلك آية للعاقلين.

وهذا يعني أن من أعظم واجباتنا التفكرُ في نِعَم الله تعالى واستعمالها وفقًا للغاية من منحها لا سيما نعمتَي القلب والعقل.

فكيف ينبغي استعمال العقل؟

ينبغي ألا يخضع العقل للنفس، بل عليه أن يدرك بأنه في امتحان في هذه الدنيا بالنظر إلى حقائق الكون.

وكيف ينبغي استعمال القلب؟

إن القلب محل محبة الله تعالى ومحلُّ نظره، فينبغي أن يكون طاهرًا من حبِّ غير الله، نقيًّا من الذنوب والآثام، مليئًا بالذكر والتوحيد، فيصبح قلبًا سليمًا يليق بالوقوف بين يدي الله تعالى، ومن أجل ذلك كان:



➢ رسول الله ﷺ أسوتنا الحسنة

بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء مرشدين منذرين، وبعث أحبَّ الأنبياء إليه خاتمهم. بعث الله كلَّ نبيٍّ إلى قومه يرشدهم وفقًا لبُنيَة مجتمعهم، وبعث محمدًا ﷺ للناس كافة وجعل دعوته قائمة حتى قيام الساعة.

أكرم الله تعالى الناسَ بالنبي محمد هاديًّا إياهم وحده في أشد الأوقات كفرًا وجهلًا وظلمًا، وبعثه إلينا إكرامًا ولطفًا وإحسانًا.

➢ أعظم معجزة

لقد أكرمَ الله تعالى نبيُّه محمدًا ﷺ بأعظم معجزة، ألا وهي القرآن الكريم. والقرآن سيبقى دليلًا على كلام الله وصدق نبيِّه حتى قيام الساعة. وسيرى جميع الخلق حتى قيام الساعة هذه المعجزة التي أُكرِمَ بها نبينا الكريم ﷺ وسيطِّلعون على حقائقها.

وبهذه المعجزة بنى رسول الله ﷺ مجتمعًا لا مثيل له، لأنه جعل من الإنسان الجاهلي أي الإنسان الذي عاش قريبًا من طرف المحيط الهندي ساميًا عالي الشأن في الفضيلة كعلو جبال هيمالايا. وحوَّل المجتمع الوحشي الذي كان يئد البنات بعلمه وتربيته إلى مجتمع تعمُّ فيه الرحمة والرأفة حتى إنه ليرأف بحال



الحمل إنْ صاده ذئب في جانب دجلة. وحسبنا نجاحه في هذا الشأن دليلًا على عظمة رسول الله ﷺ وكماله.

➢ أعمى القلب لا يبصر نور رسول الله ﷺ

إذا عميَ القلب، لم يرَ صاحبه نور رسول الله ﷺ. وإذا لم يكن الإنسان فاقدًا للبصيرة، لم يجد فيه ﷺ عيبًا، وهذا يعني أن الذي يعيب على رسول الله ﷺ إنما يعبِّر عن ضعفه وعجزه وقلة حيلته هو نفسه. وتمتلئ صفحات التاريخ بأقوام اتهموا أنبياءهم ظلمًا وعدوانًا، لأن الحقائق التي يبلِّغها هؤلاء الأنبياء لا توافق أهواء الذين يسعون وراء ملذات الدنيا، فيسعون إلى نسب ضعفهم وعجزهم إلى الأنبياء حتى يجعلوا اتباع أهوائهم أمرًا مشروعًا. والافتراءات الشنيعة على رسول الله ﷺ في هذه الأيام نابعة من سوء أخلاق أصحاب هذه الافتراءات وسوء منقلبهم.

إن كلَّ مخلوق يحيا على طبعه، وليس الإنسان باستثناء عن هذه القاعدة! فالنحلة التي ترى عالَمها بين رحيق الأزهار لا تستطيع أن تعيش خارجه، والجرذ الذي يدأب على العيش في القذارة لا يستطيع أن يعيش في بستان الورود. وأصحاب القلوب السليمة تطمئن بالعيش في روحانيات رسول الله ﷺ أما أصحاب القلوب الفاسدة فيجدون ضالتهم في السوء والشر.



لمَّا قال النبي ﷺ: «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر**»، بكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: «هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله».[208]

وبذلك أظهر أنه نذر نفسه لرسول الله ﷺ، وذلك دليل على أن قلبه صار كالمرآة التي تعكس أخلاق رسول الله ﷺ.

وأما أبو جهل العدو اللدود لرسول الله ﷺ فكان على النقيض من حال أبي بكر، فحُرِم من فضائل رسول الله وهذه النعمة العظيمة، وما ذلك إلا لما في قلبه وحقيقة نفسه التي ظهرت على المرآة المحمدية.

ذلك أن مثَل الأنبياء والرسل كمثل المرآة الصافية يرى فيها العبد باطنه، والمرآة لا تكذب البتة، فمَن كان قبيحًا رأى فيها القبح، ومَن كان جميلًا رأى فيها الجمال.

والحق أن دينَ الإسلام في حِمى الله عز وجل، فمَن اعتدى على القرآن الكريم ورسول الله ﷺ، حلَّ عليه غضب الله عاجلًا أم آجلًا.

ولا شك أن مَن يمتلئ قلبه حبًّا لرسول الله ﷺ يتأذى ويُستثَار بالكلمات القبيحة والأفواه التي تبث السموم فتهاجم رسول الله عليه الصلاة والسلام من حين لآخر.

---

٢٠٨ ابن ماجه، المقدمة، ١١/ ٩٤.



ومن لطف الله تعالى وكرمه أنه لا أحد يستطيع أن يزيل من الإنسان ميله الفطري للحق والحقيقة. وقد يسعى أهل الإلحاد لنشر أفكارهم بشتى أنواع الظلم، إلا أنهم عاجزون بلا شك عن حجب نور دين الإسلام الذي يضيء أعماق القلوب والضمائر. ومن المحال أن تُكبَت حاجة العبد إلى القرب من مرضاة ربه، لأن الله تعالى جعل حاجة العبد إلى الدين والسعي للقرب من خالقه سنةً من سننه في هذا الكون.

وما أجمل وصف مولانا جلال الدين الرومي للغافلين الذين عموا عن رؤية الحقيقة وسعوا لإطفاء نور الله، إذ قال:

«إنَّ مَن يعيب شمسنا التي تنير دنينا إنما هو أعمى البصر والبصيرة يسيء إلى نفسه».

«إذا أراد الله أن يهتك ستر أحدهم ويفضحه، جعلَ في قلبه رغبة في ذم الصالحين».

فعلى الناس أن يفكِّروا كيف يشكرون رسول الله ﷺ لا كيف يذمُّونه، فالقلب ليس قلبًا إنْ لم يكن فيه شعور العرفان والشكر لرسول الله ﷺ الذي قضى حياته من أجل هداية الناس، فمحبته عليه الصلاة والسلام لنا تفوق محبة الوالدَين لولدهما، وهو القائل:



«لقد أُخِفْت في الله وما يُخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال»[٢٠٩]

لكنه عليه الصلاة والسلام لم يشكُ ولم يتذمر، بل اهتمَّ لأمر أمته، لأنه النبي المبعوث رحمة للعالمَين، ويوم الحشر يخر تحت العرش ساجدًا لله يطلب الشفاعة لأمته.[٢١٠]

أفليس علينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوة أن نكون مؤمنين كما أراد رسول الله ﷺ ونجعله أحبَّ إلينا من أنفسنا شكرًا له على سعيه في دنياه وآخرته من أجلنا؟

➢ إنَّ المُحِبَّ لمَن يحب مطيع

قال رسول الله ﷺ: «**المرء مَع مَن أحب**»[٢١١]

فكم نحب رسول الله ﷺ؟

علينا أن نفهم هذا الحب على أنه معيَّة بين المُحِب والمحبوب، فالمرء يكون مع مَن يحب ظاهرًا وباطنًا، ومعه في أفعاله، ومعه في أفكاره ومشاعره، ومعه في معاشه، فإذا لم تكن

٢٠٩ الترمذي، القيامة، ٣٤/ ٢٤٧٢.

٢١٠ انظر: البخاري، الأنبياء، ٤، ٩؛ مسلم، الإيمان، ٣٢٧، ٣٢٨؛ الترمذي، القيامة، ١٠.

٢١١ البخاري، الأدب، ٩٦/ ٦١٦٨.



مثل هذه المعيَّة في الحب، وخالف المُحِب محبوبَه، فهذا يعني أنه لا حب بينهما. ومِن هنا نتساءل كم نحب رسول الله ﷺ؟ كم نعتصم بسنَّته؟ كم نحدِّث أولادنا وأهلنا عن سيرته؟

➢ اتباع رسول الله ﷺ يقتضي تربية القلب

ينبغي أن نقتدي برسول الله ﷺ ونتأسَّى به في عيشنا كله كي نسعد في هذه الدنيا الفانية وفي الآخرة الباقية. وينبغي لنا أن نقتدي به في حياتنا في الأسرة والعمل والمجتمع، فإنما هو الأسوة الحسنة للناس على اختلاف أهوائهم وطبقاتهم. فكيف نقتدي به؟ هل نقتدي به بالاكتفاء بقراءة سيرته من صفحات الكتب؟ كلا، بل نقتدي به بتربية أنفسنا وتطهير قلوبنا، وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى مبيِّنًا:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[212]

فالشرط الأول: لهذه التربية رجاءُ اللهِ ﷻ، أي علينا أن نعيش مدركين أننا سنُحاسَب بين يدَي الله سبحانه وتعالى ونطلب رضاه.

٢١٢ الأحزاب، ٢١.



وأما الشرط الثاني: فطلب الآخرة والاعتقاد بها، أي علينا أن نعي حقيقة فنائنا ونجاوز حدوده، وقد عبَّر عن ذلك مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله في قوله:

«الحياة الدنيا حلم. ومَثل مَن ملكَ شيئًا في الدنيا كمَثل الذي يجد كنزًا في حلمه. إنما مال الدنيا باقٍ فيها تتناقله الأجيال».

فعلينا أن ندرك أننا في امتحان في هذه الدنيا، ونطلب الحياة الأبدية حقًّا وصدقًّا بردِّ أهواء النفس، فتغدو الآخرة لنا ميدان اللقاء بالحبيب، ولا بد لذلك من الاقتداء برسول الله ﷺ، وعندئذ ننال وعد الله بالجنة وبرؤية جماله.

وأما الشرط الثالث: فذكر الله تعالى كثيرًا، أي يكون القلب دائمًا مع الله تعالى، فإنْ تساءلنا كَمَ يكون مع الله؟ فيأتينا الجواب من قوله تعالى:

﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[213]

أي دائمًا، والشعور بأن آلات التصوير الإلهية تراقبنا... إن الله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، فكم نحن قريبون منه؟ فعلينا أن نقتدي برسول الله ﷺ من أجل هذا القرب.

٢١٣ آل عمران، ١٩١.



➢ عظم شأن رسول الله ﷺ

من المحال أن نسلك طريقًا إلى الله سبحانه وتعالى من غير أن نعلم عظم شأن رسول الله ﷺ الذي قال عنه ربنا:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢١٤]

فالله تعالى أيضًا يصلِّي على رسول الله، يصلِّي هو تعالى وملائكته على أشرف المخلوقات، لكننا نعجز عن إدراك كيفية هذه الصلاة بقلوبنا وعقولنا، إذ نتساءل كيف يصلِّي الخالق على مخلوق؟ وثمة تفسيرات لهذه الصلاة ولكنها تبقى سرًّا إليهًّا. غير أن الحقيقة التي لا يحجبها حجاب أن الله تعالى خصَّ نبيَّه بمحبة عظيمة من بين المخلوقات، ويريد الله تعالى منا أن ندرك ذلك فيأمرنا بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢١٥]

لكن ينبغي ألا نكتفي بالصلاة والسلام عليه بألسنتنا، بل يجب أن تكون كل أحوالنا صلاةً وسلامًا عليه. ينبغي أن تكون

٢١٤ الأحزاب، ٥٦.

٢١٥ الأحزاب، ٥٦.



كل أفعالنا في حياتنا في الأسرة والعمل ومعاملاتنا بصورة تليق بالصلاة والسلام عليه، فنتساءل مثلًا:

لو رأى رسول الله ﷺ أعمالي وأفعالي وحركاتي، فهل كان يرضى عنها؟ هل كان ليرضى عن تربيتي أولادي؟ هل كان ليرضى عن عباداتي؟

فإذا لم نسأل أنفسنا مثل هذه الأسئلة اليوم، ولم نحاسبها ونزن أعمالنا بميزان الحق، فحسابنا عسير يوم المحشر، وفي الحساب هناك يُقال لكل واحد منا:

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٢١٦]

هنالك نرى أعمالنا كلها الظاهرة والباطنة مسجَّلة في دفاتر أعمالنا، ونشاهد فلم حياتنا، كيف كنَّا نصلي ونصوم، هل كنَّا نعبد الله ظاهرًا فقط أم نعبده بخشوع، وماذا صنعنا أمام نِعَم الله التي لا تُحصى، وكم أنفقنا وتصدَّقنا، وكم أحببنا الله ورسوله وتخلَّقنا بالأخلاق التي يرضيان عنها.

إننا سنرى كلَّ ذلك غدًا في دفتر أعمالنا حاضرًا، ولكن جوهر الأمر وأساسه أن نرى حقيقة أحوالنا في الدنيا فنصلح ما فسد منها.

٢١٦ الإسراء، ١٤.



➢ امتحان المحبة والأدب

إن البشر جميعًا في امتحان في هذه الدنيا، أي إن الدنيا مدرسة للامتحان، ومن أعظم الامتحانات فيها امتحاننا بمحبة رسول الله وطاعتنا له وأدبنا معه. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[٢١٧]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٢١٨]

فحسن أدبنا مع رسول الله ﷺ، واتِّباعنا لسنَّته الطاهرة، ومعرفته عليه الصلاة والسلام امتحانٌ لنا، ووسيلةٌ لتقويم حبِّنا له، وباب لنيل مرضاة الله تعالى...

---

٢١٧ محمد، ٣٣.

٢١٨ الحجرات، ٢-٤.



وهنا علينا أن نسأل أنفسنا: كيف ينبغي أن نقتدي برسول الله ﷺ؟ وكيف نقيس حياتنا بحياته؟

وكلامُ الله تعالى واضحٌ في هذا الشأن، إذ قال:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [219]

➢المقياس في حبِّ رسول الله ﷺ

وخير ما نذكره في هذا الشأن ما رواه عبد الله بن هشام إذ قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ:

«لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»

فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**».[220]

فهكذا علينا أن نتبع رسول الله ﷺ، وهكذا علينا أن نحبَّه. علينا أن نملأ قلوبنا بمحبته، فحبه فرضٌ علينا.[221] وقد قال الله تعالى:

---

٢١٩ النساء، ٨٠.

٢٢٠ البخاري، الأيمان، ٣/ ٦٦٣٢.

٢٢١ انظر: التوبة، ٢٤.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[222] فهو أقرب إلينا من أنفسنا.

وقد ذكرَ رسول الله ﷺ شرط الإيمان الحقيقي في قوله:

«فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»[223]

من أجل ذلك كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم إذا أمرهم رسول الله ﷺ بأمر، قال الواحد منهم:

«فداك أبي وأمي يا رسول الله».

فمَن أعرض عن حبه أو أساء إليه، فهو ليس إلا من الجاهلين، ذلك أن محبته سرُّ النجاح والفلاح.

➢ علامة حبِّه ﷺ

إن الإنسان كثيرًا ما يذكر ما يحب، فتراه يحدِّث مَن حوله عنه ويفضي بكلامه إليه، فالتاجر أكثر كلامه يكون عن التجارة، فيقول: كسبت كذا، وخسرت كذا. والأب الذي يفرط في حب ولده، يذكره حيثما حلَّ. وأما الصحابة الكرام وأولياء الله العظام فكان حديثهم كله عن رسول الله ﷺ وقد وجدوا في ذلك لذة

٢٢٢ الأحزاب، ٦.

٢٢٣ البخاري، الإيمان، ٨/ ١٤.



عظيمة، فقلوبهم كانت مليئة بحبه والرغبة في اتباعه والاقتداء به، فاللهم أكرِمنا بمعرفة شأن نبينا ومحبته، آمين!

➢ عجزنا عن وصفه كما يليق به

رُويَ في الأثر أن خالدًا بن الوليد خرج في سرية من السرايا، فنزل ببعض الأحياء فقال له سيد ذلك الحي: صِفْ لنا محمدًا، فقال: أما إني أفصِّل فلا، فقال الرجل: أجمِلْ، فقال:

«الرسول على قدر المُرسِل»[224]

نسأل الله تعالى أن يكرمنا بشيء مما كان في قلوب الصحابة الكرام من حبِّ رسول الله ﷺ! ونسأله أن يزيِّن حياتنا بمحبته وطاعته واتباعه، فهو القادر على كل شيء!

آمين!

---

٢٢٤ المناوي، فيض القدير، جـ٥، ٩٢/ ٦٤٧٨؛ القسطلاني، المواهب اللدنية، جـ٢، ص٥.



خاتمة

إذا أردنا أن يشفع لنا رسول الله ﷺ، فعلينا أن نحاسب أنفسنا كي نرى أين نحن من اتباعه، ونتفكر كم نقتدي بسيرته. وعلينا أن نجعل من سننه عليه الصلاة والسلام حاضرةً في عباداتنا وأعمالنا وأفكارنا ويومنا وغدنا أي في حياتنا كلها، فالمرء يقلِّد حبيبه على قدر حبه له.

وعلينا أن نعرفه حقَّ المعرفة ونطَّلع على تفاصيل حياته كي نتَّبِعه ونقلِّده كما ينبغي، فالحقل مهما كانت تربته خصبة، فلن يثمر شيئًا بغير مطر السحاب وأشعة الشمس. ولكي يثمر القلب لا مناص من اتباع رسول الله ﷺ المبعوث أسوة حسنة للناس أجمعين.

وهو عليه الصلاة والسلام خير الأولين والآخرين، ومنبع الفضائل والمكارم، وسبب البركات والرحمات في الأرض، وعليه نزل القرآن الكريم المليء بالحقائق الأزلية والأبدية.

ونفهم مما ذكرنا هنا أننا عاجزون عن توقيره أو توقير أي شيء يذكِّرنا به كما ينبغي لنا! فهذا النبي العظيم كان إليه خطاب



«حبيبي» من الله المتعال الذي لا يدركه شيء. وليس من اليسير وصف كماله وفضله وإدراك عظمته بكلمات قليلة وهو الذي يصلِّي عليه رب السماوات والأرض وملائكته.

وليس لنا إلا الوقوف عجزًا وتقصيرًا أمام بيان صفاته ومحاسنه. وإذا كانت الألسن تعجز عن وصفه، فمثَل وصفنا إياه كمثل قطرة من بحر زاخر تسقط على إدراكنا...

فطوبى للمؤمنين، فهم لا يميلون بقلوبهم إلا لمحبة رسول الله ﷺ، ولا تغرهم المحبات الزائفة في هذه الدنيا.

ولنرجعْ إلى ربنا بالإحساس به عليه الصلاة والسلام بكل ذرة من أجسامنا...

ولنتضرَّعْ إلى ربنا متوسِّلين بمحبة رسول الله ﷺ...

فالصلاة والسلام على سيد الكونَين...

والصلاة والسلام على رسول الثقلَين...

والصلاة والسلام على إمام الحرمَين...

والصلاة والسلام على جد الحسنَين...

اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وباركْ وسلِّمْ.



المراجع

- القرآن الكريم.
- كتب الحديث الستة.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري عز الدين، أسد الغابة، بيروت، ١٩٨٩، دار الفكر.
- ابن حبان، أبو حاتم البستي، صحيح ابن حبان، جـ١-١٨، بيروت، ١٩٩٣.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، جـ١-٩، بيروت، ١٩٦٨، دار الصادر.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ١-٤، القاهرة، بلا تاريخ.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، البداية والنهاية، جـ١-١٥، القاهرة، ١٩٩٣.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، سيرة النبي، جـ١-٤، بيروت، ١٩٣٧، دار الفكر.
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، جـ١-١٠، بيروت، ١٩٦٧.



- أحمد بن حنبل، مسند، جـ١-٦، القاهرة، مؤسسة قرطبة؛ الزهد، بيروت، ١٩٩٩، دار الكتب العلمية.
- الإمام مالك بن أنس، موطأ، بيروت، ١٩٨٥، دار إحياء التراث العربية.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، جـ١-٩، بيروت، ١٩٩٠؛ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، جـ١-٧، تعليق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، ١٩٨٥.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، جـ١-٥، بيروت، ١٩٩٠.
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠، دار المغني.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، القاهرة، ٢٠٠٦، دار الحديث.
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر، الجامع الصغير، مصر، ١٣٠٦؛ تاريخ الخلفاء، مصر، ١٩٦٩؛ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري اليماني الصنعاني، المصنف، بيروت، ١٤٠٣هـ، المجلس العلمي- الهند.
- الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، جـ١-٢٥، ١٩٨٣؛ المعجم الأوسط، جـ١-١٠، القاهرة، ١٤١٥.



- القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد، المواهب اللدنية، جـ١-٢، مصر، ١٢٨١هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، جـ١-٢٠، بيروت، ١٩٨٥.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، جـ١-٦، بيروت، ١٩٩٤.
- الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بيسوني زغلول، بيروت، ١٩٩٠.
- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر، المغازي، جـ١-٣، بيروت، ١٩٨٩؛ مصر، ١٩٤٨.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، جـ١-١٠، بيروت، ١٩٨٨.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، جـ١-٢، بيروت، ١٩٩٢.
- علي القاري، أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، جـ١-٦، بيروت ١٩٩٢، دار الفكر.



فهرس



الفصل الثالث / ٨٦



الفصل الرابع / ١٢٦









